2 me Année, No 44 — Lundi-7-5-1934

# الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH
Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع الساحة رقم ٣٩
بالقاهرة
تليفون رقم ( ٤٢٣٩٠
٤٠٥٣٠ )

بدل الاشتراك عن سنة

| | |
|---|---|
| ٦٠ | في مصر والسودان |
| ٨٠ | في الاقطار العربية |
| ١٠٠ | في سائر الممالك الأخرى |
| ١٢٠ | في العراق بالبريد السريع |
| ١ | ثمن العدد الواحد |

الاعلانات يتفق عليها مع الادارة

العـــدد ٤٤ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٣ محرم سنة ١٣٥٣ — ٧ مايو سنة ١٩٣٤ » السنة الثانية

## فهرس العـــدد


| صفحة | |
|---|---|
| ٧٦١ | يوم الجمعة : احمد حسن الزيات |
| ٧٦٣ | الشعير الهارب : الدكتور طه حسين |
| ٧٦٥ | اليابان والجامعة الاسيوية : الاستاذ محمد عبد الله عنان |
| ٧٦٨ | وادي حلفا : عبد الرحمن فهمي |
| ٧٧٠ | أثر الادب في الحياة : محمد قدري لطفي |
| ٧٧١ | جدل الابد في الادب : أمين نخلة |
| ٧٧٢ | تطور الفلسفة : علي محمد راضي |
| ٧٧٤ | الأمل الضائع : فرحات عبد الحالق |
| ٧٧٧ | بين المعري وداتي : محمود الخفوري |
| ٧٧٩ | التصوير في الشعر العربي : الاستاذ عزي ابو السعود |
| ٧٨١ | بديع الزمان الهمذاني : الدكتور عبد الوهاب عزام |
| ٧٨٤ | الى البحر ( قصيدة ) : الشاعر علي محمود طه |
| ٧٨٥ | السائلة ( قصيدة ) امجد الطرابلسي |
| ٧٨٥ | أخي الربيع ( قصيدة ) : حسين شوقي |
| ٧٨٥ | ليت قلبي ( قصيدة ) : عبد الرحمن رياح |
| ٧٨٦ | القلب الطريد ( قصيدة ) المتصوف ( نزيل القاهرة ) |
| ٧٨٧ | الدوق دي لاروشفوكو : الدكتور حسن صادق |
| ٧٩٠ | بين الموسيقى الشرقية والغربية : مدحت عاصم |
| ٧٩٢ | ويسألونك عن الأهلة : الدكتور احمد زكي |
| ٧٩٤ | في البحوث الروحية : الاستاذ عبد المغني علي حسين |
| ٧٩٦ | شهر بالغردقة : الاستاذ [illegible] |
| ٧٩٦ | جولة في ربوع الشرق الادنى ( كتاب ) : ز . ن . م |
| ٨٠٠ | التربية بالتمثيل ( كتاب ) : ز . ن . م |


# يوم الجمعـــة . . . .

كان أمس الأحد ، ومن قبله كان السبت ، ومن قبلهما كان يوم الجمعة ! ثلاثة أيام تتعاقب في مدار الأسبوع تعاقب الجياد في مضمار السبق ! يحمل كل منها في رأسه علم دولته ، وعلى صدره عنوان ملته ، ويشرق على قومه في المسجد أو في الكنيس أو في الكنيسة اشراق الحب في الفؤاد الغرير ، أو الايمان في النفس الرضية ، فيؤلف ما نفر من القلوب بالمودة ، ويعود بما شرد من النفوس الى الجماعة ؛ ثم يكون في البيت مصدر أنس وبهجة ، وفي المدينة مظهر استقلال وعزة . ولقد كان فيما سلف من مؤاتاة الدهر شأن يومنا في الأيام ، كشأن قومنا في الاقوام : صدارة يكتنفها جلال مُلك ، وامارة يسندها سلطان دين ، وعيد يأتلق جماله في كل مكان وفي كل نفس ، وفترة تحدد للناس مواقيت العيش ومراحل الزمن ، وكان له في أدب الدين قواعد مقررة ، كالاغتسال ، والطيب ، واتخاذ الزينة ، وشهود الجماعة ، ومودة القربى ، وصلة المساكين ، وترفيه البدن بالراحة ، وتطهير النفس بالعبادة ، واعلان مجد الله باظهار دينه ، وسلطان الشعب

باعلاء امره ؛ ولم يكن السبت والاحد يومئذ الا شعاعا لضوئه ، واتساعا لمداه !

ثم غيرتا فغيّر الله ، فاذا بالتابع يأخذ المهلة على المتبوع ، واذا يوم الجمعة يصبح طرفا فى ذيل الأسبوع ، فلا تخشع له اسواق العالم كيوم السبت ، ولا تسكن له حركة الدنيا كيوم الاحد ، ولا يبقى له من الرعاية عند أهله ، الا اغلاق دور الحكومة فى وجهه !

• • •

أستعرض هذه الأيام الثلاثة بالاعتبار والموازنة ، تجد كلا منها صادق الدلالة على حال أهله ! فيومنا يجيء كما ترى خافض الجناح ، خافت الصوت ، حائل اللون ، مخضود الشوكة ، مغموط الحق ، لا يدخل فى حساب الناس ، ولا يقدم ولا يؤخر فى حياة المجتمع !

فمظهره الدينى تضاءل حتى صار صلاة عادية لا يقيمها الا القرويون الطارئون على المدينة ، والحضريون الفارغون من العمل !

ومظهره المدنى انحصر كما قلنا فى عطلة الحكومة . ومن المؤونة المعجزة أن تطلب العطلة وما يتبعها عند غير الحكومة ، فان جمهور الشعب اما تاجر يتبع فى نظامه البنوك الأوربية ، واما عامل يخضع فى عمله لرءوس الأموال الأجنبية ، فلم يبق الا الموظفون الرسميون ، وهم وحدهم الذين يستطيعون بما تهيأ لهم من اليسر والفراغ اجلال هذا المظهر ، واعلان هذه الشعيرة ، فتعال ننظر كيف يقضى هذا العيد فى بيت الموظف

فى البيت الذى أعنى هذا المقال أسرة مسلمة عميدها موظف كبير ، وأسرة يهودية كاسبها تاجر صغير ، وأسرة مسيحية عائلها مستخدم متوسط .

ففى يوم السبت ينبعث فى المسكن اليهودى تاريخ اسرائيل بأساطيره وتقاليده وعقائده ، فالتوراة تُتلى ، والصلوات تُقضى ، والذكريات تستيقظ ، والمجارى الروحية تتحدر من الاجداد الى الاحفاد فتوثق الروابط ، وتجدد القوى ، وتُهوّن العظائم ، ثم تخرج الأسرة بأسرها ، فى زينتها وبشرها ، فتتناول عشاءها فى مطعم سامر ، وتقضى أمسيتها فى ملهى ساهر

وفى يوم الأحد يحول المسكن المسيحى الى عرس أنيق مترف : فالأسرة تعود من القداس فى الوان الزهر وأفواف الوشى ، والغُرف تضحك من طلاقة النفوس واتساق الأثاث ، والمائدة المزهرة تحفل بأفانين الشراب السائغ والطعام الهنىء ، والبيانُ الفخم تحت الأنامل الطفلة يقطر بالنغم العذب واللحن البهيج ، والفنغراف يدور بأناشيد الرقص فيمسى البهو بالزائرين والزائرات أشبه بأعشاش الربيع كلها مناغاة وهديل وهزج !

وفى يوم الجمعة يصبح المسكن المسلم عابسا كالكهف ، ساكتا كالمقبرة !

فالبك قضى ليلة سهران ، فهو نائم نومة الضحى ! فلا تسمع حسا ولا حركة ، الا صوتا شديد الخفوت ، يستعين بالاشارة على ان يهمس الحين بعد الحين :

— هس س س ! خفّض من صوتك ! خفف من دبيبك ! لا تلعب بهذا ! لا تعبث بذاك ! أبوك نائم !

والبك يأخذ حمامه الاسبوعى الحار فيشغل الحمام ساعتين ! فتمضى الظهيرة والفتاة لا تستحم ، والعجوز لا تتوضأ !

والبك مدعو الى العشاء ، عند بعض الاصدقاء ، فالمطبخ بارد هادىء ، وطعام اليوم بقية طعام الأمس !

والبك يتهيأ للخروج ، فالأسرة كلها فى خدمته : هذه تنظف البدلة ، وتلك تمسح الطربوش ، وهذا يذهب برباط الرقبة الى الكواء ، وذاك يستعجل الخادم بالحذاء ، وأخيرا يخرج البك ! ! فيتنفس البيت الصعداء ، ويستروح المكروب نسيم الرخاء !

وهكذا يمر عيد الأسبوع على هؤلاء القوم ، وهم يقولون يالله ما أثقل روح هذا اليوم ! !

احمد حسن الزيات

# الضمير الهارب

## للدكتور طه حسين

لم يكن صاحبي ساذجا ولا غليظ القلب طاهره كهذا الضابط الفرنسي الذي أظنك رأيته في دار من دور السينما ، يأتمر مع أصحابه ليغير النظام في فرنسا ويرد الى العرش ابن نابليون . فبينا هو ذات يوم يمشي على رصيف من أرصفة باريس لقي رفيقا من رفاقه في جيش الامبراطور . وكان العهد قد بعد بينهما فوقع اللقاء من نفس الرجلين موقعاً حسناً ، وتحدثا عن الجيش وعن الامبراطور ، وتحدثا عن أمس وعن غد ، ولم يكرها أن يذما يومهما ويسرفا في ذمه . ثم ذهب الصديقان إلى حيث كان الضابط يقيم ليتحدثا في حريه وأمن ودعة . وأخذ الضابط يحدث صاحبه عن أصدقائهما وما يأتمرون به ، ثم ما زال الحديث ينتقل بهما من موضوع إلى موضوع حتى عرف الضابط أن صديقه لم يقم على عهد الامبراطور ، وانما آثر لين الحياة فعمل في جيش الملك . هنالك لم يستطع الضابط أن يلوم صاحبه ولا أن يعاتبه ، ولا أن يناقشه في شيء . ولم يزد على أن اطفأ المصباح حتى لا يرى وجه هذا الصديق الخائن . وفهم الرجل عن صديقه فانصرف عنه خزيان أسفا .

لم يكن صاحبي ساذجا غليظ القلب طاهره كهذا الضابط الفرنسي ، وانما كان رجلا مترفا لا في حياته المادية ، بل في حياته المعنوية خاصة . كان مترف العقل جدا لا يكتفي بظواهر الأشياء ولا يقنع بحقائقها ، وانما يبغي شيئا أرقى من الظواهر وأعمق من الحقائق كأنه اللب والخلاصة لكل شيء . وهو اذا وصل الى هذه الخلاصة وذلك اللب لم يقنع بهما وانما تخير منهما أنقاهما وأرقاهما وأشدهما ملاءمة لذوقه الممتاز ، والذوق الرفيع ، والشعور الراقي ، والنفس الأبية العالية . وكان صاحبي هذا قوي الحس جدا ، ولكنه كان شديد الازدراء للحس ، يمنعه في موضعه الطبيعي فلا يكبره ولا يغلو في العناية به ، ولا ينتظر منه الا ما ينتظر من الاداة التي لا يراد منها الا ان تؤدي العمل الذي هيئت له ، فهو لا يريد من حسه الا ان ينقل اليه صور الحياة الخارجية ، فاذا نقلها اليه شغل بها فحقق ودقق ، وفحص وصفى ، وآثر نفسه بخلاصة ما ينتهي اليه التحقيق والتدقيق والتمحيص والتصفية ، فغذى به عقله وقلبه وشعوره ؛ وفكر فيه فاطال التفكير ، واستخرج منه اقصى ما يستطيع استخراجه من اللذة والألم ، ومن العبرة والعظة ، ومن الغبطة والحزن .

وكان صاحبي هذا بحكم هذا المزاج الخاص معقدا شديد التعقيد متعبا لنفسه ولأصحابه واصدقائه جميعا ، وكان كثيرا ما يسأل نفسه عما يريد فلا يجد لهذا السؤال جوابا . وكان اصدقاؤه يسألونه عما يريد فلا يجدون لهذا السؤال جوابا . فلما استيأسوا منه اخذوا يسألون انفسهم عما يريد فلم يجدوا لهذا السؤال جوابا . فقبلوه على علاته ، واحبوه على ما فيه من مشقة وتعقيد . وكانت حياته وحياة أصحابه هينة لينة مستقيمة تمضي في طريق لا عوج فيها ولا التواء ، كما كانت حياة الناس كلهم في بعض اوقات الامن والدعة والهدوء ، فكان راضيا عن أصحابه ، وكان اصحابه راضين عنه . وكان ما يعرض له ولهم من مصاعب الحياة ومشكلاتها لا يزيد على ان يكشفه لهم فيحبه اليهم ، ويكشفهم له فيحببهم اليه . ولكن هدوء الحياة ودعتها واضطراد الامن فيها واستقامة الطرق لسالكيها ليست امورا محتومة مقضية للناس او مقضية عليهم ، قد أخذوا بها عهدا على الظروف والايام . وانما هي أمور ممكنة تتاح حينا وتمتنع أحيانا ، تتاح فيسعد الناس ، وتمتنع فيشقى الناس . تتاح فيجهل بعض الناس بعضا ، ويحب بعض الناس بعضا ، ويطمئن بعض الناس الى بعض ، لان ظروف الحياة لا تكرههم على ان يدقق بعضهم في امتحان بعض ، ويحقق بعضهم في ابتلاء بعض . ثم تمتنع فاذا الناس يتعارفون ، ولا يلبثون ان يتعارفوا حتى يتناكروا ويتداروا . ويقوم الشك منهم مقام اليقين ، ويقوم الحذر منهم مقام الاطمئنان ، وتقوم الفرق منهم مقام الصراحة ، ويقوم البغض منهم مقام الحب ، واذا هم يندمون على حلمهم القديم ، واذا هم يحزنون على اطمئنانهم الماضي ، واذا هم يتمنون لو ردالله عليهم تلك الأيام الحلوة التي كانوا يستمتعون فيها بلذة الجهل وحلاوة الغفلة ونعيم الثقة ، وأعفاهم من هذه الأيام التي يشقون فيها بألم المعرفة ومرارة الفطنة وبؤس الشك .

وكان صاحبي قد فتح لنفسه الأبواب كلها على مصاريعها كلها ليتلقى كل شيء من كل شيء ومن كل انسان . ثم ليسعد بهذه الصفقة التنقية ، وبهذا التمحيص والتحقيق ، ويتخير الثمرات من كل ما كان يجتمع له من الجهد والردى . فلما تكرت الأيام لم يغلق من أبواب نفسه بابا ، وانما نظر فاذا النفوس تغلق من دونه نفسا

فنفسا ، واذا أبوابها تغلق من دونه بابا فبابا . وإذا ما كان يجتمع له من الملاحظات يقل شيئا فشيئا ، ويندر حتى كاد لا يصبح شيئا . واذا ما بقى له من هذه النفوس القليلة التى ثبتت لنحن ، وامتنعت على الخطوب ، وأبت أن تلين قناتها للاحداث ، قد أخذ يغشاها من حين الى حين لون رقيق جدا من الحياء ، ثم من الغلو فى الحياء ، ثم من الأشفاق ، ثم من الاسراف فى الأشفاق ، ثم يتكاثف اللون ويتكاثف ، وتضاف طبقات منه الى طبقات حتى يصبح احتياطا وحذرا ، وحتى يستحيل الى حجاب كثيف صفيق لا تنفذ من دونه نفس الى نفس ، ولا ينتهى من دونه قلب إلى قلب ، ولا يتحدث من دونه ضمير الى ضمير ؛ واذا صاحبى يلقى أصحابه فلا يلقى منهم الا وجوها ، ويصافح أصحابه فلا يصافح منهم الا ايديا ، ويحدث أصحابه فلا يكون بينه وبينهم الا حركات الألسنة فى الأفواه ، وخروج الألفاظ من الشفاه ، وانتهاء الأصوات الى الآذان ، ثم وقوفها دون هذه الأبواب التى قد غلقت تغليقا ، وهذه الأستار التى قد اسدلت إسدالا ، على انه هو أيضا لم يكن أقل من أصحابه واحبائه تغليقا لابواب نفسه ، والقاء للحجب والاستار بينه وبينهم ، فقد آذاه ما رأى منهم كما آذاهم ما رأوا منه ، فكان منه هذا الحياء الذى كان منهم ، ثم أخذ هذا الحياء يتعقد فى نفسه كما كان يتعقد فى نفوسهم حتى أصبح اشفاقا ثم شكا ثم احتياطا وحذرا . ولكن حياء صاحبى لم يكن كحياء اصدقائه ، كانوا يستحون منه وكان يستحى لهم ، كانوا يشفقون منه وكان يشفق عليهم . كان يحذرون منه وكان يحذر عليهم ، ولكنه الحياء والاشفاق والحذر على كل حال . ولكنه تغليق الأبواب والقاء الأستار والحجب على كل حال . ولكنه انقطاع الاسباب وفساد الصلات على كل حال . ولكنها العزلة بين قوم لم يكونوا يستطيعون أن يعتزل بعضهم بعضا ، والفرقة بين قوم لم يكونوا يستطيعون ان ينعموا بالفراق ، ولكنه الرياء بين قوم لم يكونوا يحتملون الرياء ، ولكنه هذا الالم المبهم الذى ينشأ عن الفراق والناس مجتمعون ، وعن البعد والناس متقاربون ، وعن القطيعة والناس متواصلون . ولكنه العذاب الذى يجده الناس حين يتحدثون بالسنتهم لا بقلوبهم ، وحين يسمعون بآذانهم لا بنفوسهم ، وحين تتصافح ايديهم وتتباعد بين ضمائرهم ونياتهم الآماد ، الا من الف منهم هذه الحياة واطمأن اليها ووجد فيها مثل ما كان يجد فى تلك الحياة من اللذة والراحة والنعيم لأنه فارق اصدقاء فوجد مكانهم اصدقاء آخرين ، ونأى عن احباء فاستقر فى احباء آخرين .

هنالك نظر صاحبى الى نفسه ، فاذا هو قد اصبح اداة من الادوات تسعى مع النهار وتعود مع الليل ، تلقى الناس فتحدث اليهم وتسمع منهم دون أن تعقل مايصدر عنها أو تذوق مايصدر اليها من حديث . اداة تذهب وتجىء تتلقى آثارا من ادوات مثلها ، وتحدث آثارا فى ادوات مثلها ، ولكنها آثار ظاهرة آلية لا قوام لها ولا لذة فيها ولا اثر للحياة القوية العاقلة المفكرة فى مظاهرها ، انما هى اداة ممثلة لا اكثر ولا أقل . تعمل مع ادوات ممثلة لا أكثر ولا أقل . وكانت لصاحبى بقية من قوة فى النفس ، وفضل من حياة فى الضمير ، وأثر من حزم فى الارادة ، وقليل من ذلك الترف العقلى الذى كان يستمتع به ايام كان الناس ناسا ، وحين كانت الحياة حياة . فاكبر ما انتهت اليه اموره وامور اصحابه من هذه الصفة التى يجد فيها الرجل نفسه ولا يؤمن فيها الا بغيره . أكبر ذلك وضاق به وأزمع أن يعتزل هذه البيئة التى لا يستطيع أن يكون فيها الا اداة مسخرة . ولكنه اعتزلها ولم يعتزلها ، قر فى داره وعاش بين أهله ، لم يسع الى أحد ولم يفكر فى لقاء أحد ، وكان يظن أن هذه العزلة ستغنيه وتحميه وترد اليه نفسه بريئة من النفاق معصومة من الفساد . ولكنه لم يلبث ان استيقن انه لم يصنع شيئا . فهو يعتزل الناس ولكن الناس لا يعتزلونه ، يعرض عنهم فيقبلون عليه ، يقعد عنهم فيسعون اليه ، يكف عنهم حياءه لهم واشفاقه عليهم فيحملون اليه حياءهم منه ، واشفاقهم منه ، ويغلون فى ذلك يحسبون أنهم يخدعونه عن أنفسهم ، أو يحسبون أنهم يخدعون أنفسهم عن انفسهم . فلما استيأس صاحبى من نفع هذه العزلة ، واستيقن أنه لا أمل له فى أن يظفر بنفسه صافية وقلبه طاهرا ، وضميره حيا ، الا إن ترك البيئة كلها وهاجر من أرض الى أرض ، وارتحل عن وطن الى وطن ، أسر ذلك فى نفسه وأظهر لنا معشر أصدقائه المخادعين له ولانفسنا مثل ما كان يظهر من حسن اللقاء ولطف المؤانسة حين كنا نزوره ونجلس اليه . ثم سعيت اليه ذات يوم لاقضى معه ساعة من ساعات الفراغ ، وما أكثر ساعات الفراغ فى حياتنا نحن المصريين فلم أجده ، وسألت أين يمكن أن يكون فلم أدل عليه . وسألت متى يمكن أن يعود فلم أنبأ بشىء . فعدت محزونا لا لأنى لم ألقه ، بل لأنى لم ألق عليه ثقل ما كنت أحتمل من الضجر والضيق والفراغ ، ولأنى لم ألق فى نفسه أنى أوثره بالحب ، واعتقد أنه يؤثرنى به . لأنى لم أهد اليه شيئا من هذا الرياء الذى يهديه بعضنا الى بعض فى كل يوم ، ولم أتلق منه شيئا من هذا الرياء الذى

(البقية على صفحة ٨٠٠)

# اليابان والجامعة الاسيوية

## مبـــدأ مونرو اسيوى

للاستاذ محمد عبد الله عنان

منذ أسبوعين طلعت اليابان على العالم بتصريح فى منتهى الأهمية والخطورة . خلاصته : «ارفعوا أيديكم عن الصين» ، وهو بعبارة أخرى إنذار من اليابان الى اوربا وامريكا بانها اصبحت تعتبر من واجبها أن تحمى الصين من كل محاولة جديدة اوربية او امريكية فى سبيل الفتح أو الاستعمار الاقتصادى ، ومن حقها أن تستأثر بالتوسع السياسى او الاقتصادى فى انحاء الصين الشاسعة . ولا تخفى اليابان أنها جادة فى انذارها ، وانها على أهبة لتأييده وتنفيذه بالقوة المادية ، وفى نفس الوقت الذى تلقى فيه اليابان بهذا الانذار ، نراها تقرر اعتمادات حربية ضخمة لتقوية اسطولها الجوى ، وتقوم بعدة مظاهرات عسكرية أخرى .

وقد أثار هذا التصريح الجرىء فى جميع دوائر السياسة العليا دهشة عظيمة ، ولاسيما فى الدول ذات النفوذ والمصالح فى الصين مثل بريطانيا العظمى وامريكا وروسيا وفرنسا وايطاليا . ولم يتضح حتى الآن موقف هذه الدول ازاء تلك الخطوة الجديدة التى تتخذها اليابان للحد من النفوذ الغربى فى الصين . ولكن اولئك الذين يتتبعون تصرفات السياسة اليابانية فى الصين فى الاعوام الثلاثة الأخيرة يدركون ان هذه الخطوة انما هى نتيجة طبيعية لهذه السياسة التى فازت منذ عامين بالاستيلاء على منشوريا ووضعها تحت الحماية اليابانية ، والتى مازالت تتقدم فى سبيل التوسع فى الثغور والاراضى الصينية الشمالية والوسطى . واليابان تتخذ خطوتها وشئون السياسة الدولية فى منتهى الاضطراب والتعقيد ، والدول العظمى كلها مشغولة بمشاكلها الداخلية والخارجية السياسية والاقتصادية ، ومن الصعب عليها ان تتفاهم او تتفق بسرعة على اتخاذ خطة او سياسة مشتركة ضد هذه السياسة اليابانية الجديدة التى تهدد نفوذها ومصالحها فى الصين .

والنظرية اليابانية فى مقاومة التوسع الغربى فى الصين ترجع الى فكرة أهم وأبعد اثرا هى فكرة الجامعة الاسيوية ، وشعارها «آسيا للآسيويين» . وقد قويت هذه الفكرة بعد الحرب ، حينما اشتد تنافس الدول الغربية على التوسع فى الصين واستطاعت روسيا السوفيتية وبريطانيا العظمى وأمريكا أن تتدخل فى شئون الصين تدخلا قويا مباشراً ، وأن تبسط كل نفوذها على مناطق واسعة فى الصين ، وحينما عمدت الدول فى كل مناسبة وفرصة إلى ارسال أساطيلها إلى المياه الصينية بحجة حماية مصالحها ؛ ولما كان موقع اليابان الجغرافى فى شرق الصين ، مشرفة على تلك المياه الصينية التى تغزوها الدول كلما شاءت ، وكانت تبسط حمايتها ونفوذها على مساحات واسعة فى الصين ، فى كوريا ، ومنشوريا وشانتصى ، فقد كانت السياسة اليابانية تنظر دائماً إلى حركات الدول فى الصين بمنتهى التوجس والريب ، وكانت تلتمس السبل دائما لمقاومة الاستعمار الاوربى والأمريكى . وكانت حركة « الجامعة الاسيوية » تزداد نشاطا وقوة ، وخصوصا كلما اشتدت الصيحة فى أوربا وأمريكا بالتحذير من « الخطر الأصفر » أو بعبارة أخرى من نهوض الأمم الآسيوية . وقد عقد أول مؤتمر رسمى للجامعة الاسيوية فى ثغر ناجازاكى فى صيف سنة ١٩٢٦ وشهده مندوبون من اليابان والصين والهند وسيام وكوريا والفلبين ، واستمرت السياسة اليابانية ترعى هذه الحركة وتغذيها مدى الاعوام الاخيرة ، وقد عقد فى فبراير الماضى فى دايرن تحت رعاية الحكومة اليابانية مؤتمر « للشعوب الاسيوية » شهده مندوبون من الصين واليابان والهند وأفغانستان وسيام وبلاد الملايو وغيرها من البلاد الاسيوية . وأصدرت فيه قرارات بوجوب اتحاد الشعوب الاسيوية على العمل فى سبيل مصالحها المشتركة الجنسية والسياسية وتحريرها من كل تدخل أجنبى ، وسيدعى مؤتمر دورى للجامعة الاسيوية . وربما كانت اليابان ترمى من وراء هذه الحركة إلى إنشاء عصبة أمم اسيوية لتأييد غايات الجامعة الاسيوية .

### مبدأ مونرو اسيوى

ولهذا الانذار الذى تتقدم به اليابان الى الدول الغربية صبغة مزدوجة : فهو يعنى أولا ان اليابان ستقاوم منذ الآن فصاعدا كل محاولة

تقوم بها الدول الغربية فى سبيل التوسع فى الصين ، وثانيا أن اليابان ستكون مطلقة اليد فى الصين تحقق فيها ما شاءت من خطط التوسع والنفوذ . وللناحية الاولى سابقة تاريخية خطيرة فى السياسة الدولية هى مبدأ الرئيس مونرو ( رئيس جمهورية الولايات المتحدة ) ، الذى وضع منذ سنة ١٨٢٣ ليكون شعارا لسياسة امريكا الخارجية ؛ واليك نص هذا التصريح الشهير الذى تطبقه السياسة الامريكية منذ اكثر من قرن وذلك بعد الديباجة :

« إن القارتين الامريكيتين بحكم حالة التحرير التى احرزتاها والتى تحتفظان بها يجب الا تعتبرا منذ الآن فصاعدا قابلتين للاستعمار من جانب اية دولة أوربية ، وعلى ذلك فانا نعتبر فى المستقبل أى محاولة من جانب الدول الاوربية لبسط سلطانها السياسى على اية ناحية من نواحى هاتين القارتين خطرا على سلامتنا وسلامنا . نحن لم نتعرض لاى مستعمرة أو ملك قائم فيهما للدول الاوربية ولن نتعرض له ، ولكننا بالنسبة للحكومات التى اعلنت استقلالها وحافظت عليه واعترفنا نحن به كحق ذى اساس عادل ، لانستطيع أن نعتبر أى تغيير يرمى الى ارهاقها أو التحكم فى مصايرها الا بانه ميل عدائى نحو الولايات المتحدة . ذلك انه يستحيل ان تبسط الدول المتحالفة نظامها السياسى فى أى بقعة من هذه القارة دون تهديد سلامنا وسعادتنا . كذلك لايستطيع انسان أن يعتقد أن اخواننا فى الجنوب اذا تركوا وشأنهم قد يقبلون هذه السياسة مختارين ، ومن ثم كان من المستحيل ان ننظر الى هذا التدخل فى ذرة من التهاون والاغضاء »

ويمكننا أن نلخص مبدأ مونرو فى كلمتين : « امريكا للامريكيين » أو « اتركوا امريكا » كما نستطيع ان نلخص الانذار اليابانى فى كلمتين « آسيا للاسيويين » او « اتركوا آسيا » مع هذا الفارق ، وهو أن اليابان تحدد بتصريحها منطقة معينة من آسيا هى الصين ، أو الشرق الاقصى بصفة عامة ، وقد فهم مبدأ مونرو فى امريكا وطبق خلال قرن من الناحية السلبية فقط . أعنى من ناحية مقاومة التدخل الأوربى ؛ ولكن السياسة الامريكية وضعت فى الاعوام الاخيرة تفسيرا جديداً لمبدأ مونرو ، وهو أنه الى جانب حق امريكا فى قمع أى تدخل أوربى ، يحق لامريكا ، وامريكا وحدها — أن تحتل أية بقعة من القارة الامريكية متى رأت ذلك ضروريا لصون سلامها ومصالحها ، وطبقت السياسة الامريكية ذلك التفسير الايجابى الجديد لمبدأ مونرو فى عدة حوادث معاصرة مثل تدخلها فى حوادث نيكاراجوا ، واحتلال بعض أراضيها ، وارغامها بناما على عقد معاهدة تعتبر شبه حماية ، ثم تدخلها أخيراً فى حوادث كوبا . وهذا هو نفس مايعنيه التصريح اليابانى من ناحيته الايجابية فاليابان ترى من حقها دون غيرها من الدول أن تستأثر بالتوسع فى الفتح والنفوذ فى الصين

وقد بدأت اليابان فعلا بتطبيق هذه السياسة منذ ثلاثة أعوام فوضعت خطتها للاستيلاء على منشوريا وتذرعت لذلك الفتح باعتداء العصابات الصينية على المنطقة اليابانية والسكة الحديدية الشرقية التى تضع يدها عليها واضطرارها الى حماية المصالح اليابانية والرعايا اليابانيين من ذلك الاعتداء الذى عجزت عن قمعه السلطات الصينية . وحوادث فتح اليابان لمنشوريا مازالت ماثلة فى الاذهان فلسنا بحاجة الى تفصيلها . غير أنا نذكر فى هذا المقام فقط أن اليابان أبدت منذ البداية عزمها على احتلال منشوريا وامتلاكها فعلا ، ولم تحفل بتدخل عصبة الامم تلبية لنداء الصين ، ولم تقف لحظة عند أى القرارات التى أصدرتها العصبة لحسم النزاع كانتداب لجنة للتحقيق ، والتوصية بوقف القتال ، واعادة الحالة الى ما كانت عليه ؛ بل لبثت اثناء اشتغال العصبة بهذه الازمة الخطيرة ماضية فى غزو منشوريا وافتتاحها حتى اتمت خطتها العسكرية ، واستخلصت اقليم منشوريا كله ، ثم انتهت بأن ضاقت ذرعا من تدخل عصبة الامم ، فانسحبت منها لتكون حرة مطلقة اليد والتصرف . ولم تقف اليابان عند افتتاح منشوريا بل هاجمت اثناء ذلك شنغهاى أعظم الثغور الصينية بحجة الاعتداء على بعض رعاياها واحتلته وكادت تنفذ إلى الداخل لولا ما أبدته الحكومة الوطنية الصينية من مقاومة شديدة وما أنذرت به الدول من التدخل ؛ ثم عادت فغزت اقليم شهلى شمال بكين ، واحتلت عدة من قواعده واجتازت السور الكبير . كل ذلك لترغم الصين على الاعتراف بمركزها فى منشوريا . وانتهت اليابان بأن جعلت منشوريا دولة جديدة باسم دولة « منشوكيو » ، وأقامت عليها هنرى بوى امبراطور الصين المخلوع ، أولا رئيسا لجمهورية منشوكيو ثم امبراطوراً لها ، وتم بذلك استيلاء اليابان على أعظم الاقاليم الصينية الشمالية وأغناها ، فاذا ذكرنا أن اليابان تملك من أراضى الصين شبه جزيرة كوريا وثغر تيانتسين وما اليه ، وبورت أرثر وتسنج تاو ، وتحتل مناطق

كبيرة فى إقليم شانصى ، استطعنا أن نقدر الى أى حد بلغت اليابان فى توسعها فى الصين .

## موقف الدول

وقد قلنا إن موقف الدول إزاء السياسة اليابانية الجديدة لم يتضح بعد ، ولم يتخذ بعد صبغة رسمية . ولكن الذى لا ريب فيه هو أن الدول التى لها فى مياه الشرق الاقصى وفى الصين مصالح عظيمة مثل أمريكا وبريطانيا العظمى وروسيا وفرنسا ، ستقاوم هذه السياسة أشد مقاومة ، وليس بعيداً أن تلجأ الى الوسائل العنيفة اذا هددت أملاكها أو مصالحها ، وكما أن اليابان تقرن انذارها بالمظاهرات العسكرية وتقرير الاعتمادات الحربية الجديدة ، فكذلك نرى انكلترا تقوم بمظاهرة بحرية فى ثغر سنغافورة ، ويعقد أمراء البحر الانكليز هنالك اجتماعا خطيرا للنظر فى تعجيل الاعمال والاجراءات الخاصة باتمام قاعدة سنغافورة البحرية التى ستكون أعظم وأقوى قاعدة بحرية فى الشرق الاقصى ، ونرى أمريكا تقرر اعتمادات مالية ضخمة لبناء سفن جديدة ، وينتقل الاسطول الامريكى من مياه الاطلانطيق ويجوز قناة بناما إلى المحيط الهادى فى أقل من يومين قياما بمظاهرة بحرية كبرى . وتحتج الدول ذات الشأن على لسان صحفها من الوجهة الدولية بالمعاهدات المعقودة بين اليابان والدول بشأن الصين ، وأخصها وأحدثها معاهدة الدول التسع التى عقدت على يد مؤتمر واشنطون سنة ١٩٢٢ بين الولايات المتحدة (أمريكا) وبريطانيا العظمى وفرنسا وايطاليا واليابان والصين وبلجيكا وهولندة والبرتغال ، وتنص هذه المعاهدة على احترام سيادة الصين واستقلالها ووحدتها الادارية والاقليمية ، وعلى معاونتها على النهوض والتقدم بكل الوسائل ، واستعمال الدول الموقعة لنفوذها فى تأييد مبدأ الفرص المتساوية فى النشاط التجارى والصناعى فى الصين لجميع الامم ، وعلى عدم انتهاز ظروف الصين للحصول على امتيازات خاصة ، ومعنى ذلك أن اليابان ليست حرة فى أن تحتل فى الصين مناطق جديدة ، أو تبسط نفوذها على مناطق جديدة ، وليست حرة بالاخص فى أن تستأثر وحدها بتنفيذ سياسة التوسع والاستعمار فى الصين ؛ هذا الا اذا كانت تعتبر المعاهدات الدولية قصاصات لا قيمة لها .

وهناك غير هذه الدول الموقعة لمعاهدة واشنطون ، روسيا السوفيتية ؛ وهى من أعظم الدول مصالح فى شمال الصين ، وأشدها اهتماما بسير السياسة اليابانية ، وروسيا تجاور اليابان فى منشوريا ، وتشترك معها فى امتلاك السكة الحديدية الصينية الشرقية ، وفى امتلاك جزيرة سخالين ، وتصطدم معها فى شئون ومصالح كثيرة وقد ساءت علائق اليابان وروسيا فى العهد الاخير بسبب استيلاء اليابان على منشوريا وانتزاعها القسم الروسى من السكة الحديدية الشرقية ، وتهديدها بذلك نفوذ الروسيا فى منغوليا ، وقد كان لروسيا فوق ذلك فى الصين الوسطى والجنوبية نفوذ عظيم منذ أعوام ، وكانت اليابان من أنشط الدول لمحاربته والقضاء عليه ، والخصومة الروسية اليابانية قديمة فى الشرق الاقصى ، وترجع بالاخص الى حرب سنة ١٩٠٤ التى هزمت فيها روسيا امام اليابان وفقدت بورت آرثر ثغرها الممتاز فى الصين ؛ وهى اليوم أشد ما تكون اضطراما . ولا تخفى حكومة موسكو انزعاجها من السياسة اليابانية الجديدة ، واستعدادها لمقاومتها وحماية النفوذ والمصالح الروسية فى الشرق الاقصى بكل ما وسعت .

## موقف الصين

ثم هنالك الصين ، وهى المقصودة بتطبيق السياسة اليابانية الجديدة . وقد لبثت الصين مسرحا للفتن والحرب الاهلية زهاء ربع قرن ، والدول الغربية أثناء ذلك تعمل على انتهاز الفرص لتوسيع نفوذها ومصالحها ، واليابان تجاريها فى انتهاز الفرص . فلما اشتد التنافس بين الدول على استغلال الحوادث الصينية ، عقدت فيما بينها معاهدة واشنطون سنة ١٩٢٢ ( معاهدة الدول التسع ) لكى تضع حدا لهذا التنافس أو بعبارة أخرى لكى تنظمه ، وقطعت الصين بعد ذلك ستة أعوام أخرى فى غمار من الحروب الاهلية الطاحنة حتى قامت الحكومة الوطنية أخيرا ( حكومة نانكين ) لتوحد كلمة الصين الى حد ما ، ولتعمل على صون استقلال الصين والحد من التوسع الأجنبى . وقد بذلت الحكومة الوطنية فى هذا السبيل جهودا لا بأس بها ، ولكن اختلاف الزعماء والقادة كان دائما يشل من هذه الجهود ، ويفتح الباب لدسائس الدول الأجنبية وغيرها المستتر بصور وأساليب شتى ، ولم كان الانذار اليابانى متعلقا بوقوف اليابان فقط فى وجه المطامع الاجنبية فى الصين ، لما كان للصين كبير اعتراض عليه ؛ ولكن اليابان لا تقف كما قدمنا عند هذه الناحية السلبية من سياستها الجديدة ، وانما تقرنها بادعاء حق الاستئثار بالتوسع فى الصين ، وتقوم بتنفيذ هذه السياسة بطريقة فعلية منظمة منذ ثلاثة أعوام ، اعنى منذ غزوها لمنشوريا ، ومعنى ذلك

أن اليابان تريد أن تستأثر بفريستها - الصين - دون باقي الدول وان تترك هذه الفريسة امامها وجها لوجه ؛ وليس بعيدا أن تكون اليابان قد وضعت خطتها لافتتاح الصين كلها والاستيلاء عليها اقليما فاقليما ، وخوض معركة الحياة والموت مع الغرب والاستعمار الغربي

ولا ريب أن الصين تنكر هذه السياسة ايما انكار ، وسوف تقاومها بكل ما وسعت حسبما صرح به مندوبها لدى عصبة الامم وسفيرها في لندن ، ولا ريب انها ستعتبر بهذا الخطر الجديد الذي يهدد كيانها واستقلالها فتعمل لتوحيد كلمتها وتنظيم قواها ؛ كذلك لاريب في ان اليابان رغم قوتها ومنعتها وفيض مواردها ، تقدم على مغامرة كبيرة محفوفة بالصعاب والمخاطر ؛ ومن المشكوك فيه ان تستطيع اليابان ان تتحدى دول الغرب العظمى اذا اجتمعت كلمتها على مقاومة هذه السياسة ، هذا الى ما لابد أن تبذله الصين من الجهود الزاخرة للدفاع عن استقلالها وكيانها ؟

محمد عبد الله عنان
المحامي

# وادي حلفـــا

## بقلم عبد الرحمن فهمي

لبـانيه في الآداب

وادي حلفا عاصمة احدى مديريات السودان الشمالي ، وهي مديرية حلفا ، وهو ميناء نيلي تسير السفن البخارية الصغيرة بينه وبين الشلال تنقل المسافرين والبريد من مصر الى السودان ومنه اليها ، ويشعر الزائر المصري للسودان عند ما تطأ قدمه ارض حلفا كأنه في احدى مستعمرات التاج البريطاني ، ولا عجب فمنذ جلاء الجيش المصري عام ١٩٢٤ تعمل السياسة البريطانية على أن تجعل من السودان منطقة انجليزية بحتة . وقد تلاشت المصرية أو كادت تتلاشى بعد أن كانت ظاهرة قوية فيه .

ووادي حلفا له مكانة خاصة لأنه كما قلت ميناء نيلي كبير ومركز للتجارة لا بأس به ، وهو فوق ذلك مدخل جمركي يفتش المسافرون وأمتعتهم فيـــه حتى لا تهرب بضائع معينة من السودان الى مصر . ثم هو الحد الذي يشعر عنده المصري بشعور مؤلم هو شعور الفصل اللاطيعي بين القطرين التوأمين .

وينقسم هذا البلد قسمين رئيسيين أحدهما « حلفا توفيق » نسبة الى مسجد كبير شيده الخديوي توفيق في ميدان فسيح يتوسطه . والثاني « حلفا معسكر » نسبة الى معسكر الجيش المصري الذي كان يعسكر فيه حتى سنة ١٩٢٤ .

وحلفا توفيق هو روح البلد ، ففيه الميناء المشغول بالحركة الدائمة ، ولا سيما عند وصول البريد اليه من الشلال وعند قيامه منه اليه ويحصل ذلك أربع مرات في كل أسبوع ، وفيه محطة السكة الحديدية ومكتب البريد والبرق وبناء المديرية والمستشفى ودار الشرطة والمحكمة ومكتب الجمرك والري المصري ، وفيه المحال التجارية والمقاهي والفندق وتوكيل لبعض الشركات كشركة كوك وسنجر .

والدور فيه ذوات طابق واحد وفناءات فسيحة الا بعض الدور القلائل ذات الطابقين على ضفة النيل يؤجرها ملاكها الوطنيون الى بعض الموظفين المصريين والسوريين . .

وحلفا معسكر ، قسم صاخب بالنهار في ناحية من نواحيه حيث توجد ( الورشة ) ففيه تسمع صوت المطرقة وآلات التصليح والنجارة والحدادة وغيرها . أما منذ الأصيل فهو هادىء ، وهو بخلاف القسم الأول ملآن بالدور الفخمة ، وأفخم هذه الدور هي التي يسكنها البريطانيون ، فهي مزدانة بالشجر والزهر والثمر ، تطل نوافذها على النيل ، ومنها تستطيع أن تمتع الطرف بمياهه الجارية كأنها السلسبيل ، وبالشجيرات على ضفتيه نضراء وقد تجمعت في مكان وتفرقت في آخر ، فكأنها الزبرجد مسكوبا ، وكأنك تستمد الحياة من منبع الحياة .

ويتوسط القسمين متنزه جميل فرشت أرضه بالبرسيم المورق قامت عليه الشجيرات النضراء المختلفة كأنها الحراس الا أنها تغفل دائما عن المنجل يحصده غالبا . وزين بالزهور المختلفة الألوان والأنواع تحملها جذور وسيقان ، ويدار الحاكي فيه مرة في مساء كل جمعة . وامثل ( الراديو ) حل محله اليوم

ويؤلف البريطانيون فيه كتلة متحدة غير مختلطة بغيرها من الأجناس الأخرى ، اللهم إلا الاختلاط الذي يوجبه العمل ، وهو مخالطة الرؤساء لمرؤوسيهم ، يلحون بالطلب فيلبى ، ويعطون الاشارة فتنفذ ، ويلقون الأمر فيطاع . أما في أوقات فراغهم فهم يريضون أجسادهم بركوب الخيل ولعب « التنس » و « الجولف »

وغير ذلك ، والمساء يقضونه فى المسامرة والمنادمة بين الكأس الرحيق والرقص الرشيق .

والمصريون فى وادى حلفا الآن كما هم فى غيره من بلدان السودان : أقلية ينظر اليها أولو الأمر فيه نظرة حذر ، ويكادون يكونون تحت مراقبة دقيقة لأنهم متهمون ببث روح التمرد وماهم كذلك ، وما الحركة التى قامت فى سنة ١٩٢٤ فى السودان إلا ثورة وطنية قام بها الوطنيون قبل غيرهم كما تقوم أية جماعة فى أى بلد بحركة يرجون بها غرضاً معينا ، وما أظن الاتهام الذى يوجهه أولو الأمر فى السودان الى المصريين فى هذا الشأن إلا ستاراً لسياسة موضوعة لقصد معين .

ولكن الروح التى تربط المصرى والسودانى لا تزال قائمة ولن تزول - وهى روح وطنية - ، لأنهما يريان فى النيل أباً مشتركا بينهما ، وهى روح جنسية ، لأن المصرى والسودانى هما مزيج من جنس البحر الأبيض والجنس الحامى ، ثم هى روح لغوية لأنهما يتكلمان العربية ، وهى روح دينية لأنهما إما مسلم وإما قبطى ، وهى أخيراً روح لا يمكن نزعها من جسم أحدهما دون أن يموت الآخر .

والوطنيون هم البربريون الحلفاويون ، لهم رطانة يتكلمون بها فيما بينهم ، إلا أنهم جميعاً يعرفون العربية ، وكثير منهم ملمون باللغة الانجليزية ، ويمتازون من السودانيين بالذكاء والنشاط ، أعرف منهم قاضيا فى إحدى محاكم مصر الأهلية ، وعالما دينيا ، وموظفين أكفاء ، وتجاراً قديرين .

والمولدون وهم مزيج من المصرى أو التركى ومن السودانى ، ثم السودانيون والعبيد .

ويشتغل الوطنيون بالزراعة فوق اشتغالهم بالتجارة ، زراعة مساحات ضئيلة ، بالخضر والنخيل ، والبلح أهم الحاصلات .

أما العبيد فمنهم عمال يحملون طرود البريد وامتعة المسافرين ، ومنهم مكاريون ينقلون الأثقال على حميرهم ، ومنهم السقاءون يحملون الماء الى الدور بصفائحهم وقربهم .

* * *

تتألف الحكومة فى مديرية حلفا كما هو الحال فى أى مديرية أخرى من مديريات السودان : من المدير ويتوب عن الحاكم العام للسودان فى مديريته ، وهو بريطانى له سلطة شبه مطلقة ، ويعاونه المفتش وهو أيضاً انجليزى يحل محله فى غيابه ، وتنظر دار المديرية فى أحوال الناس القضائية : الأهلية منها والشرعية ، وفى جباية الأموال والمحافظة على الصحة

ويسهر على الامن رجال الشرطة ومقرهم ( الضابطية ) أو دار الشرطة ، وهم رجال أشداء يلبسون عمامة كاكية أو بيضاء كبيرة وقميصا من الصوف الأصفر وسروالا ونعالا ، يشبهون فى ذلك رجال الحجانة فى مصر ويعاونهم حراس نظاميون فى الليل .

وعلى رأس دار الشرطة المأمور وله نائب ، وكلاهما سودانى ، ولكل قرية عمدتها وشيوخها ، تؤلف منهم محكمة قروية تعدل بين الناس .

وقد حل الوطنيون محل معظم الموظفين المصريين فى كافة أقسام المصالح ، وهم خريجو كلية غوردون بالخرطوم يلتحق بها التلميذ بعد أن يتم العلوم الابتدائية ويقضى بها ثلاثة أعوام يتخصص خلالها فى أحد أقسامها ، أذكر منها قسم المعلمين والترجمة والهندسة ، ويشترط فى طالب الكلية أن يكون سودانيا .

ويفضل أولو الأمر أن يلبس الموظفون الزى الوطنى اثناء العمل ، وهو رداء من نسيج أبيض وعمامة بيضاء ومركوب أحمر ، ويحثونهم على أن يفضلوه على اللباس المصرى .

وتقام حفلات رسمية فى كل عام : أهمها عيد الميلاد السنوى ، والعيد النبوى الكريم ، وعيد ملك الانجليز ، وعيدا الفطر والاضحى ، وتدعو الحكومة كبار الموظفين والتجار والوطنيين الى عيد رأس السنة ، وعيد ميلاد ملك الانجليز فى حفل رسمى ، وتتولى لجنة من الوطنيين دعوة الموظفين البريطانيين وعقيلاتهم الى الاحتفال بالاعياد الأخرى ، وابهجها الاحتفال بالمولد النبوى ، اذ تقام سرادقات مختلفة عديدة على ميدان فسيح بيضاء بمصابيح الكهرباء القوية الملونة ، ويحيى ليالى هذا المولد شيوخ يستأجرون من احدى مديريات الوجه القبلى وتدار على المدعوين المرطبات ولفائف الطباق

وبعد أن يستمع المدير ورفاقه قليلا من المديح النبوى ينهضون الى احد السرادقات متنقلين بين أقسامها متفرجين على حلقات الذكر والرقص الوطنى ، وفى كل حلقة توزع الدراهم على بعض الذاكرين والراقصين . والنقود المتداولة فى السودان هى النقود المصرية باقسامها والاسترلينى والشلن والشلنين من النقود الانجليزية .

# أثر الادب فى الحياة

بقلم محمد قدرى لطفى
ليسانسيه فى الآداب

تؤلف فى الادب كتب ، وتنشأ له صحف ، وتقام له جماعات ، وتشيد من اجله جامعات ، وتعرف به رجال ، فأى اثر لهذا الأدب فى الحياة ، وأى وظيفة يؤديها لهذا المجتمع الذى غلبت عليه المادة ولم تلق فيه المعنويات مايجب لها من عناية وتقدير ؟

ان للأدب عناصر يتركب منها ، اساسها تلك العواطف التى تستولى على المرء فتحرك نفسه وتهتز لها يراعه فتدون على صفحة القرطاس تلك الحركات النفسية ، وتصورها على قدر شدتها او خفتها ، فاذا عرضت على الناس حركت فيهم نفس الشعور واحيت منهم نفس العاطفة

وكم فى هذه الحياة من نفوس دقيقة الحس صادقة الشعور تحركها شؤون الحياة وتهزها صروف الدهر ، هى نفوس ادبية تحس فى صمت ، وتشعر فى سكون . ولكن اصحابها فقدوا اداة الأدب وأعوزتهم المقدرة على التعبير عما يحسون فى أسلوب جميل اخاذ ، وبهذه المقدرة الفنية يتميز الأدباء من غيرهم من ذوى الحس الدقيق والشعور الصادق . فالحياة تذيقنا جميعا حلوها ومرها ، ونلقى منها جميعا ماتحزن له أحيانا وتطرب له حينا ، وهى تعرض علينا من ألوانها الزاهى البهيج والقاتم الحزين . والأديب منا من شرح حسه فأجاد الشرح ، وصور لنا عواطفه فأحسن التصوير ، واذن فليتعز المحزون العاجز عن بث حزنه بنفثات الأديب المحزون ، وليبحث البائس الذى لم يسعفه بيانه عما يسليه ويذهب ببعض آلامه فى سطور الأديب البائس ، وليقرأ المحب الذى أحب فأخلص ، واخلص فتفانى فى أخلاصه ، ولكنه كان اعجز من ان يسمعنا حديث قلبه وينقل الينا اسرار نفسه وخفى حسه ، أقول ليقرأ ذلك المحب العاجز ما كتب المحب الأديب ، فسيجد بين السطور نفسه مرسومة ، وسيلمح فى ثنايا العبارات عواطفه مصورة ، فلست اعرف بين العواطف الانسانية عاطفة تشترك فيها القلوب جميعا ، وينطبق مايقال عنها على الناس جميعا ، كعاطفة الحب الخالص المتين . ألست ترى الانشودة يغنيها المحب شاكيا او باكيا ، فيعدها غيره صدى نفسه وترجمان حسه ؟ واذن فالأدب ضرورة من ضرورات الحياة وعنصر هام من عناصر العيش ، فيه فرح الحزين ، وسلوى المحب ، وعزاء المحزون . وليست مع العزاء مصيبة . ان الأدب هو نتاج العواطف الشريفة وثمار الاحساس الجميل ، ولن تجد كثمرة العاطفة فى حديقة الحياة .

نظرة الى هذا العالم تنبئك عن قدر الأدب بين الأحياء ، فكل من فيه مآله آخر يومه الى الراحة والسكون ، والمرء مهما كد وجد فلابد له من سويعات تقر فيها نفسه ، ويخلد فيها الى السكون جسمه ، وعندئذ فلن يجد أشهى من ثمرات القرائح والنفوس يقطفها من صفحات كتاب . ولن يجد أحلى من زهر العواطف تفوح رائحته من ثنايا النثر او الشعر . ولن اقول أى نثر او أى شعر ، فلكل ذوقه ولكل مايؤثر ، وهى بضاعة من نتاج القرائح معروضة ، فليأخذ منها كل ما يلائم حسه ، ويصادف هوى نفسه .

وتريد ان تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين أثره فى الناس . اذن فانظر الى رجل ليس يقرأ الا قصيدة قد حوت رائع اللفظ وساحر المعنى ، وليس يطالع الا فى كتاب قد تضمن من الحديث اعذبه واحلاه ، ومن القصص أحسنه واشهاه ، فيه شجون وفيه احزان ، وفيه شكوى وفيه غرام ، وفيه عاطفة حارة وحس جميل ، وفيه وصف رائع وشعور صادق نبيل ، ثم استمع اليه يحدثك فستجد عقلا مصقولا ونفسا مهذبة ، اثرت فيها هذه الآداب فرققت حواشيها ، وعملت فيها تلك القراءات فارهفت حسها وهذبت نواحيها . وهل اجل فى الحياة من نفس مهذبة وعقل صقيل ؟ وهل ادعى الى حياة الامم ورقيها من نفوس ابنائها وقد طبعت على كل حسن جميل ؟ وهل مثل الأدب مقوم للطبع ومهذب للنفس ؟

وتريد أن تعرف قيمة الأدب فى الحياة وتتبين اثره فى الناس ؟

---

وكان وادى حلفا منفى للزعماء السودانيين المرغوب عنهم من الحكومة أمثال عثمان دقنه وقد مات بها . وما زال منفيا بها زعيم آخر هو ولد عبد الكريم ينتمى إلى المهدى بصلة القرابة وقد زرته منذ خمس سنوات فوجدته هرما ولكنه قوى .

وبالوادى مكان معد لنزول الطيارات التى تطير بين أوروبا وأفريقية عن طريق مصر والسودان .

عبد الرحمن فهمى

# حبل الأبد فى الأدب

بقلم أمين نخله

فى كفة الغروب أمس ، بعد أن مال ميزان النهار ، وغشى السواد الشفق ، كنت أسألهم ألا يوقدوا المصباح فى وجه الليل . بل ندع العتمة تتساقط على مهل وتتلبد ، حتى إذا غمر السواد الجهات ، غرق عبث الحياة فى الليل ، وسلم الأمر . . . وهل مطلبى من الحياة غير هذا ؟ !

ثم أشرف من النافذة ، فاذا المدينة قطعة واحدة فى جوف الليل . خفى الشتات ، وتألفت الدقائق ، ومسح على الفضول . فلست أرى ما يتعالى فى المشهد الأسود المنطرح إلا ذؤابات الأبنية تشمخ ، وكأن بعضها فى رأى العين يمشى الى بعض ، فتتلاقى وتتساند بعد البياض الفانى ، والعبث المولى !

— وهذا قمر الليل ، يقهقه بلا صوت . . . ولقد جنح الى المنحدر الآخر ، كأنما يزلق من هنالك ، فتدفق الفضة دفقاً ، غير العهد بها فى مقاطر الصحو الأزرق ، حين تنقط ولا تبل الأرض !

والليل فهرس البياض المنطوى ، ترى فيه العناوين ، وعفاء على الحروف الضئال ، والتنقيط المنمنم فى كتاب النهار . فالعمود البعيد القائم الساعة ناحية الجنوب ، ولا أتبين ما حواليه ، عنوان طويل لبناية المسجد ، ولقد خفيت المقالة وسلم العنوان . . .

* * *

وإننا فى الأدب على أعقاب جيل مال ميزانه ، وطفقت العتمة تتساقط عليه ، فعما قليل تغمر نوافله ، وتبلغ توافهه . ولا يسلم منه فى الغرق الأعظم إلا العناوين الجديرة بالسلامة ! ويسلم القمر ذو القرص الباقى ، والشعاع المجدد

كنا فى ( الباروك ) (١) — فى مطلع الصبى — نجول بالضاحية ، حيث كان ( لامرتين ) يهبط الخضرة والنوم على الينابيع . أو نصعد فى الهضبات حيث مر جواد ( أبى الطيب ) . . . ( وعقاب لبنان وكيف بقطعها ) . فيقول واحدنا للرفقة :

— ترى أى شىء من هذا الريف لفت صاحبنا ؟ ! !

وكنا بعد لم نتعلم التريث فى الجواب ، فتنطلق الاجوبة فى الرفقة كما يهتاج العش ! فالطاحون الذى يهدر حتى آخر الابد عند الشجر ، كأنما يهوم للجمال الاخضر فينعس وينام ، قد افتتن به ( لامرتين ) ولا ريب ! وافتتن بالبحيرات الصغيرة التى يبسطها النهر بين مرجين حين يتمهل — وهى لا تبرح الى اليوم تنتظر ( صاحب البحيرة ! ) ويدرب النهر ساعة تحدر الفلاحات بالجرار الحمراء فى العشايا ، ويسلن فوجا غب فوج ، فيغدو الدرب نهراً للاحاديث والغبطة يدفق من الضيعة إلى الوادى . . .

أما ( أبو الطيب ) وهو لم يعرج على الباروك فى ( وعقاب لبنان وكيف بقطعها ) فقد كان حسبنا منه ، أن يلتفت فى رأس الجبل إلى خيمة الناطور التى تتلاقى عليها عيون القرويين من كل حقل . فثنى رأس جواده ! ويطل من شاهق — وهو الشتاء (٢) — على البساط الابيض الذى تقيم عليه أيام الثلج فى ( الباروك ) !

كذلك كنا فى الصبى الأول ، نحسب الدنيا تبتدىء . ويخيل الينا أن ( لامرتين ) كان عندنا أول أمس ، وكان ( أبو الطيب ) أول من أمس . وأن خيمة الناطور تلك ، وطاحون الوادى ودرب النهر ، معالم ثابتة على الزمن ، بذهابها ذهاب الباروك والينابيع

---

إذن فتصور شعبا ينصت الى نشيده الوطنى وقد دبجته يراعة اديب قدير فحوى من معانى الوطنية ارفعها واسماها ، وحرك من نفوس الناس اشرف العواطف وارقى درجات الشعور ، فتحفزت نفوسهم واستعذبوا الموت فى سبيل الوطن .

— والأدب بعد ذلك ناحية عامة لا تقل شأنا عن تهذيب النفوس وصقل العقول واحياء العواطف السامية فى القلوب ، فأدب الأمة صفحة صادقة من تاريخها كتبتها طائفة من ابنائها فلم تتحيز ولم تظلم ، وانما دونت فيها شعورها الخالص وحسها الصادق . ولذا عنيت كل الأمم بالآداب واحلتها المحل اللائق بها ، وانزلت أهلها المنزلة التى تتفق وما لآثارهم الادبية من قيمة فى الحياة . فلولا الأدب لكانت حياتنا جافة لا تحتمل ، وعبئا ثقيلا لا يطاق .

الاسكندرية — محمد قدرى لطفى

---

(١) قرية فى لبنان ولد بها الكاتب .

(٢) بيت أبى الطيب :

وعقاب لبنان وكيف بقطعها — وهو الشتاء — وصيفهن شتاء

والربوات والشجر وهاتيك الدنيا الصغيرة !! فلما كبرنا عن الصبي وكبرت الدنيا وصغرت ( الباروك ) — وكانت خيمة الناطور قد سقطت واندك الطاحون ، وعفت الدروب على النهر — لم يذهب من القرية شيء ! بل ظلت لنا ( الباروك ) قرية بنهر وجبل وضاحية ، كما كان عهدنا بها أول العمر . ذهب الناقل من ذلك الجمال الباروكي في غرق الايام وعتمة السواد ، وسلم ما ينبغي له . فلو مر جواد ( أبي الطيب ) في رأس الجبل لتناه راكبه ، ووقف يتلفت ! ولو نزل ( لامرتين ) بين البحيرات والدروب لآنس نعيما وظلا واخضراراً !!

• • •

هكذا نقول لاصحابنا في مشادة العبث بين ( القديم والجديد ) ، فالزمن يمسح الناقل ، ويبقى على المتحتم النافع - وليس في الادب قديم ولا جديد ، بل الأدب كد على الحق ، وولع بالجمال . تسقط عتمة الآباد الف مرة على الصنيع الفني الذي غمس بألوان الوله والسمد وهو السالم الباقي لا يأخذ الليل منه حرفا !

فالحسن — من على كل جيل . والتافه تافه أبداً . ما أخر القدم قيد شبر ، ولا قدمت الجدة قلامة ظفر

ولقد سبقنا الى الدنيا ، وجاءها اناس كلفوا بالجمال والحق . وداروا على اللباب في الدروب . فآنسوا نارا ثم انفوها ونزلوا رماداً . فكيف يسوغ لنا ، ونحن في الدرب من وراثهم ، أن نقطع مابيننا وبينهم ، ويقال أدب قديم وأدب جديد ؟ ؟ !

ان الكدح القاسي في صعيد الفكر ، والتضحية السمحة على مذبح (فينس) ، والتنقيب في رياض الصحيفة عن الدنا المنحجبة ، كل هذه عرفها الرصيف القديم ( بين الدخول فحومل . . . ) ..

فطلب البلاغ الحر ، وقلب النسق في الصنيع الفني ، وابدال الوانه وصبه على شكيلة الحياة القائمة كانت في وكد الاساتذة السالفين جيلا تلو جيل . وهكذا يقال في شيوع الخاطر من المستهل الى المقطع ، وفي تماسك الحس الذي لا يبذل للنور نفسه ، وفي الميسم المطبوع والنفس الخاص ، وفي المعنى الذي يسكن المبنى ولا يمد ساقيه على بجوحة اللفظ — ذلك كله كان من اغراض الاساطين فيهم ، يوفقون اليه حينا وينكصون عنه حينا . فليس الادب ابن يومه ، ما خطرت مطالب الحياة منه على بال احد في الزمن لتقوم الضجة علينا ، ويتنادوا بالويل بعد ان أردنا الأدب حياة وقوة وخلق

# تطور الفلسفة

بقلم علي محمد راضي
لبناني في التربية والآداب

الانسان المدرك رأس هذه الخليقة التي تدرجت نحو استكمال نموها حتى تمخضت عنه . ومتى ادرك ماحوله اعمل فكره في تعليل ما يرى ورجع الى نفسه يبحث انفعالاتها وآثار ارادتها ، فهو اذن فيلسوف بطبيعته ، ومدفوع للتفكير بحكم وجوده وعمل حواسه وعقله

واذا عني الباحثون بدراسة الحفريات لنوع واحد من الكائنات ليصلوا الى مقدار تطور حياته فما أولى طلاب العلم أن يصلوا بين حلقات تفكير الانسان منذ سكناه الكهف وصيده الوحش لاستخدامه الكهرباء واكتشافه مغناطيسية الحياة

الطبيعة والانسان متلازمان ، وبينهما أوثق الروابط . . هي معلمته التي تلقى عنها أول دروسه ، وهي موضع بحثه منذ اللحظة الأولى لوجوده ، يكافحها مرة فتتسع دائرة مجهوده وتفكيره ، ويستخدمها مرة فيبني صرح تقدمه وعظمته . ولكنها ضنينة باسرارها ، وهذا ما يبعثه على اعمال الفكر في تعليل مظاهرها وتكليف نفسه مشقة البحث عن أصل وجودها وعلة استمرارها

أبصر من مظاهر الطبيعة مالم يساعده عقله « الطفل » على فهمها ، وعجز عن التعرف على أسبابها ، فأحال صدورها الى قوى لايدركها تماما ، وما دامت لاتخضع لارادته أنها أقوى منه واشد

---

جناح . . وأطفأنا الشمس باكفنا ! ! !

وعندي أن الاساتذة الموتى الذين سلكوا السبيل قبلنا — وكأنهم مضوا ليفسحوا لنا المواضع — من حقهم أن يطرقوا خواطرنا ، وأن يرشفوا قليلا من الحياة في الفاظنا . فهم ، رحمهم الله ، لم يبق لهم من سبيل الى الضياء الا هذه الحروف التي تشع فيها خواطرنا

هذا حال الادب هيهات أن ينقطع . والأدب بشرى قبل كل شيء ، فليس في استطاعة أحد أن يقطع الحبل ! والأدب أخو الحياة لا قديم فيه ولا جديد ، بل هو وله بالجمال وكد على الحق ، وما عداهما فهراء ! ؟

لبنان — أمين نخله

بطشا ، ولذا اعتقد بالارواح الساكنة فى الغابات ، وقدم للآلهة المتعددة القرابين ليبعد بها عن نفسه غضبها ، بل واعتقد بتجسد هذه الأرواح فى بعض الكائنات الحية . وكان اليونانى يعتقد بالله الحب والقوة والجمال والماء والأرض ، ولا يزال الهندوس يقدسون البقر ، وبعض أهالى فارس يوقدون النار ليطردوا إله الظلام ويساعدوا إله النور . وعليه فالعقيدة هى محور الفلسفة الأولى الذى دارت حوله ، وطبيعى ان يلجأ الانسان وهو منزعج الحواس بما يكتنفه من هزيم الرعد ووميض البرق وانبثاق الحمم المستعرة إلى الاعتقاد بوجوب التقرب والخضوع للقوة التى تصدر عنها . . أنه بذلك يدرأ عن نفسه غضبها ، وتهدأ وساوس نفسه وشكوكه

ولكن لم يقف تفكير الانسان عند هذا الحد الذى تسلط فيه عليه الوهم ، بل جعل يفكر فى منشأ هذا الكون . . . والعالم فى نظره الأرض التى يعيش على سطحها ، والشمس التى تمده بنورها ، والقمر والكواكب التى تشمع كلما جن الليل ، فقال بوجود العناصر الأربعة « التراب . والماء . والهواء . والنار . » ثم تدرج إلى القول بوجود عنصر واحد هو الماء ، ثم عدل عنه الى الهواء لأنه أبسطها وأسرعها انتشارا . ولعل هذا هو اساس الاعتقاد بالسديم الذى لا يخرج عن كونه غازا ملتهبا متحركا حول مركز جذبه . . واليوم يؤمن الانسان بوجود الأثير ، ولم يصل بعد الى تعرف طبيعته ويضطر لافتراض وجوده ليعلل حدوث الاهتزازات والتموجات التى تنشأ عنها القوى المحركة والمرتبة للجزئيات الترتيب الذى يجعلنا نرى المادة فى أوضاع واشكال مختلفة

واخيرا قام مذهب المعتقدين بوجود وحدات كهربائية (الكترونات) تتحرك بواسطة التجاذب الذرى ، وأن الكهربائية نفسها مؤلفة من ذرات . وقد قاد الانسان إلى بحث سر الطبيعة ما اودع فى نفسه من كلف بكشف كل ما يغمض عليه فهمه أو تعليله . . وقد اداه هذا الشغف الى التفكير فى أمر نفسه لا من حيث الاحتفاظ بوجوده وسد حاجاته الضرورية ، ولكن من ناحيه فلسفية أدق ووجهة اكثر تعقيدا . .

يشعر الانسان بوجوده بطريق يقينى ، وهذا اصل معرفته ، ولكنه لم يدرك كيف تقوم معرفه لما يحيط به ، وكيف يفكر ؟ وما هى القوة الباطنة التى تؤثر فيه وتوجهه الى حيث تريد ؟ . .

الى هنا طويت صحيفة الفلسفة الطبيعية التى أضاع وقته فى خلق فروضها طاليس وانكسمندر وانكسيمنس . . وبدأ طور جديد تدور أبحاثه على الانسان نفسه ، ويعتبر الواضع للأساس الجديد سقراط زعيم فلاسفة اليونان وتلميذه افلاطون . . ولكنهما لم يتعرضا لتحليل العقل الانسانى باعتباره القوة المدركة ، ولم يذكرا لنا شيئا عن ماهية النفس الانسانية وقصرا بحثهما على اعمال الانسان ووجوب مطابقتها لما هو حق وعدل وخير . . صحيح أن افلاطون كان يقول بقدم المادة ، ولكنه كان يعلل عملية الأدراك بوجود صورة سابقة فى النفس للكائنات الموجودة ، فهو القائل بوجود عالم العقل وعالم الحس .

والحقيقة أن دراسة الفلسفة الانسانية من الناحية التى عنى بها المعلمون الثلاثة « سقراط وأفلاطون وأرسطو » تنطبق على مباحث علم الأخلاق أكثر من مباحث الفلسفة نفسها ، ولهذا كان غرض أقطاب الفلسفة الحديثة إتمام النقص الذى ظل موجوداً بعد الفلسفة اليونانية .

ومباحث الفلسفة الحديثة تتم الفلسفة الانسانية من حيث تحليل الحركة الفكرية ، وعلاقة الجسم بالعقل ، وقدرة العقل على فهم الحقائق ، وحركة الفكر الذاتية « التأمل » ، ثم بحث النفس الانسانية وهل لها وجود مستقل أو هى نتيجة لاتحاد القوى المدركة بالقوى المفكرة فى الانسان ؟

ولما كانت هذه المباحث من المعضلات العويصة الحل اتخذ كل فريق من الفلاسفة لحلها طريقاً خاصا ، ففريق اعتمد على العقل وحده فانهدم صرح العقائد الموروثة ، وعاد العقل يزنها بمقياس الاستقلال الفكرى مستعينا بقوانين المنطق ، ولكن الثورى على جماعة العقليين قصدهم لان العقل بدأ يبحث نفسه ، وتطرق الشك الى كيفية حدوث الادراك ، واذ ذاك لم يجد الباحثون بدا من الالتجاء الى الحواس والاعتراف بأنها طريق الادراك ، وهذا أساس المذهب « التجريبى » ، ومع ذلك قام من يثبت أن الحواس تقوم بعمل ميكانيكى ، وان المخ فى دائرة عمله فى الحكم على ما تحمله اليه الحواس قاصر ، وان هناك بجانبه وجدانا له انفعالات خاصة لا دخل للحواس ولا للعمل الفكرى فى احداثها . ولذا قسموا العقل فقالوا بالعقل المدرك والعقل الملهم أو الخالص

ويطول البحث اذا أتينا على حجج كل فريق ، ولكن مما لا شك فيه أن للنفس البشرية وجوداً مستقلا وارادة خاصة غير ما

تبعثه فيها البواعث الخارجية ويصل اليها من طريق الحواس

والذى يهمنا أن الفلسفة تحولت من أعمال الانسان الى أفكاره ومن تفكيره الى ماهية نفسه . وهذا آخر مدى وصلت اليه الفلسفة الانسانية .

واليوم تقوم فلسفة أخرى تبحث النوعين الرئيسيين ، الفلسفة الطبيعية والانسانية ، لا على انهما منفصلان ، ولكن على أساس ايجاد الروابط التى تربط الانسان بالطبيعة ، ونتيجة هذا البحث الوصول الى الغرض الأسمى الذى لم يستطع الانسان منذ وجوده أن يظفر به لقصر تفكيره ونقص استعداده . إن اليقين بوجود الله من طريق العقل قد حل مشكلات الفلسفة قديما وحديثا . .

لقد أدرك الانسان أن ما يراه من مظاهر الطبيعة لم يسخر له اعتباطا ، وأن القوانين الطبيعية التى لم يتطرق اليها الخلل لم توجد اتفاقا ، وأن صلة الانسان بالطبيعة ضرورية ، وأن عظمة الخالق كما تظهر فى سر الكهرباء والجذب تظهر فى سر النفس وخلود الروح ، وكما عجزنا عن تعرف ماهية القوة السببية للحركة العامة المادة . فما أحرانا أن نكتفى من بحث الروح باليقين بوجودها .

إن نوعا من الفلسفة لا يزال غير مطروق مع عظيم فائدته . . على الفلاسفة اليوم أن يتركوا بحث الانسان فزداً فقد قام الانسان بنصيبه من التفكير فى أمر نفسه . ولكن عليهم أن يضعوا لنا فلسفة أجدى ، وأن يصرفوا جهودهم لبحث القوانين العامة التى يجب أن تربط المجتمع الانسانى . . إن فلسفة المجتمع هى الغاية التى يجب أن ننشدها لتم سنة الارتقاء وهى الناموس الذى يحكم الطبيعة والانسان ؟

على محمد راضى

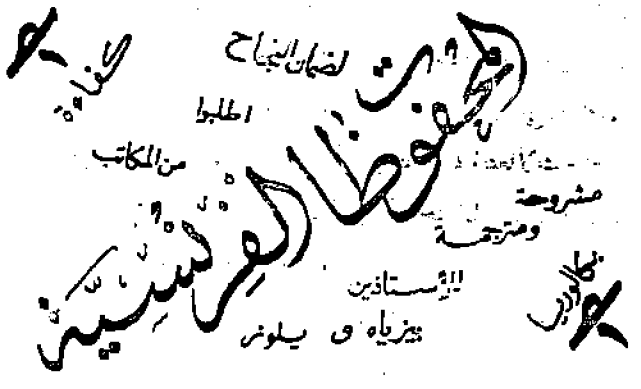


قصة من الواقع

# الأمل الضائع

## أو كذبة ابريل

لاتظن أيها القارىء الكريم أنى سأحدثك عن سبب هذه الكذبة ، ولا متى وأين وجدت ؟ فذلك بالمؤرخ أجدر ، ولا عن مدى أثرها فى نفوس من وقعوا فى حبائلها : أخير هو أم شر ؟ أجميل أم قبيح ؟ أنافع أم ضار ؟ فذلك بعالم الاخلاق أو النفس أليق . إنما أحدثك بلسان أديب ، رأى رأى العين قيصة من قمائص هذه الكذبة ، على غير علم منه أنها قيصة ، وإنما أردت أن أطرف بها القراء ؛ لأنها كما سيرون طريفة حقا ، محكمة فى نسجها إحكاما ، حتى لقد بدت — وهى الباطل المزخرف — كأروع مايكون الحق ، ومثلت مع أديب شاعر لينسرب إلى قلبه الشك فى صدقها ؛ ولعل ذلك إلى أن الأديب خلق أطهر الناس فطرة ، وأنقاهم سريرة . . . ضحك الأديب المكذوب عليه مع من ضحكوا على هذه الاكذوبة ، وربما كان أكثرهم اغراقا فى الضحك ، ذلك أنه وقف من أصحابها موقف جاد من هازلين ، متفرج على ممثلين ؛ صادق مع كاذبين

طرحت إحدى المجلات الشهرية المصرية على الشعراء مسابقة أدبية ، ذات جوائز مادية ، وانتهى موعد التقديم ، وترقب كل شاعر وأديب نتيجته ، كما يترقب المسهم فى بعض الأنصبة نصيبه . .

وفى ذات ليلة من ليالى ابريل ، فكر ثلاثة من الاصدقاء فى أن يكذبوا « كذبة ابريل » ولم يطل التفكير ؛ فقد كانوا مسهمين فى هذه المسابقة الادبية ، فلماذا لاتكون المسابقة هى مادة الكذبة ؟ ولماذا لايكون أحد المتسابقين غيرهم موضوعها ؟ ولماذا لا يكون ذلك الأحد صديقا لهم ، اشتهر فيهم بالحلم ، فأمسوا عاقبة ماتحدثه الكذبة فى صدره ؟ وأخيرا لماذا لا يتلهون بهذه الأكذوبة ويقطعون بها وبالحديث عنها فترة الانتظار ، انتظار النتيجة الممل

اختمرت الفكرة ، ولكن بى أن تصقل بصيقل الدهاء ، وترتب سرادقها تباعا ، ويشذب ماعساه يبدأ فيها من شبه وظنون ،

ويبعد عنها ما عساه ينبه قوة الملاحظة التى ستغرق فى حلم من الأكذوبة لذيذ . .

تولى أحد المتآمرين سرد حوادث الكذبة كما ستقع ، وتولى الآخر الاعتراض ، وتولى الثالث الرد ، وهكذا تبادلوا الأسئلة والأجوبة والنقد والتمحيص ، حتى أقر الجميع متانة صقلها ، وقوة سبكها ، ثم تعاهدوا على أن يكاتموا سرها حتى على انفسهم ليضمنوا لها النجاح والتوفيق .

ابتدأت الخطوة الأولى من التنفيذ بكتابة خطاب إلى هذا الصديق المتسابق بخط صاحب المجلة الزائف ، ولكن مع كثير من التقليد ، وبخاصة الامضاء . وهذه صورة الخطاب !

« فلان . . . تحية . . . وبعد فيسر صاحب الامضاء أن يبشركم بالفوز فى مضمار المسابقة . والمجلة تهنئكم به ، وتطلب اليكم أن ترسلوا صوركم الشمسية لتصدر بها قصيدتكم المجلية فى ميعاد لا يتجاوز ٢٨ الجارى . . والسلام »

ألصق الخطاب ، وكتب عليه عنوان صاحبه ، وسلم إلى بريد القطار الذى يؤم القاهرة أو بعبارة أدق وضع فى صندوق بريد المحطة طمعا فى أن يصل إلى القاهرة خطأ فتعيده تلك إلى مكتب البريد الذى يوصله الى صاحبنا ، حتى إذا نظر إلى الخطاب لا يشك فى انه صادر من موطن المجلة . كلف أحد المتآمرين ان يرقب عن كثب مصير الخطاب حين يصل القطار . تنبه البريد إلى هذه الخطأة فأرسل الخطاب إلى مكتب بريد البلد قبل ان يصفر القطار ، وذلك مالم يكن فى حساب المتآمرين ؛ وسرعان ماتلافوا ذلك بأن تطوع أحدهم بحمل الخطاب من مكتب البريد إلى حيث توضع خطابات صاحبنا على مكتبه ، وتولى حراسته ، حتى لا ينظر فيه غير صاحبه خشية ان يدرك بوساطة خاتم البريد أنه مصدر من البلد نفسه ، لانه سينظر إليه بعين فاحصة فتكشف العصابة بعض ، لا كما سينظر اليه صاحب الخطاب بعين اللهف على مافيه . . . هل صاحبنا فى وقت تعود فيه أن يتسلم بريده ، فأبرقت أسارير جبهته ، حين وقعت عينه على ذلك الخطاب ، وأنت أدرى كم يكون سرورك حين تقع عينك على خطاب ، ولو كان ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . . تناول صاحبنا الخطاب بيد مرتعشة ، ورعشة الفرح أو الاشفاق لا أدرى ! ومزق الغلاف ونظر فى سطور الخطاب نظرة سريعة وإذا بالبشرى ، بشرى الفوز فى مضمار المسابقة يفوح عبيرها ؛ فيملأ أنفه ويسرى منه الى أعصاب المخ والقلب سريان البرق ، فيهدر فى غير وعى ، إشارات الفرح ، وأمارات الانتصار ، غير ناظر إلى خاتم البريد ، ولا ممعن فى النظر إلى السطور الزائفة . . .

« أعطى عقلك ! » لا نظر ولا انتظار ، ولا هدوء ولا قرار ، على مثل ذلك النبأ السار . . .

اغتنم حارس الخطاب هذه النشوة من صاحبنا فاختلس الغلاف وأخفاه حتى لا يعيد النظر الى الخاتم بعد زوال السكرة ، ورجوع الفكرة ، ثم أظهر الحارس الفرح بفرح أخيه ، وتناول الخطاب من يده ، وأخذ يطوف به على بقية الاخوان ، مبشراً من لم يتآمر منهم بنجاح صاحبهم ، ومن تآمر بنجاح مؤامرتهم . . أرأيت كيف تدبر المؤامرات وتحكم التلفيقات ؟ ألم يصدق المثل القائل « كذب مرصوف ، ولا صدق مندوف » وهنا اقترح المتآمرون على صاحبهم أن يدفع ثمن هذه البشرى « حفلة سمر أخوية مسائية تقام فى بيته » وأيد هذا الاقتراح سائر الاخوان فلم يسعه إزاء هذا الاجماع إلا أن يوافق بعد تردد لم يطل مداه إذ بخسوا له هذا الثمن ( بمبلغ زهيد يشترى به فاكهة ، وتقام حول مائدتها حفلة تكريم ، للشاعر العظيم ) ، دفع صاحبنا الثمن لاحد المتآمرين الذى تطوع بأن يقوم عنه بمهمة شراء الفاكهة ، وأنه سيتبرع هو الآخر بنصف هذا الثمن ، حبا وكرامة . التفت ذهن الشاعر إذن الى الصورة الشمسية ، ورأى أن ما عنده من الصور لا يصلح لمثل هذا التفوق فقرر أن يحضر صوراً جديدة تكون أنق وأجمل . وتواردت فى ذهنه هذه الاسئلة : من ذلك المصور المهر الذى سيحظى بشرف تصوير حامل قصب السبق فى مضمار أدبى ؟ من أى المدن القريبة يستحضرها ؟ أى القطر يستقله الى المدينة ؟ متى يسافر ؟ كيف يحصل على اجازة من عمله ؟ . . .

بعد لأى قرر السفر غداً . ولكن اخوانه المتآمرين كانوا قد قرروا أن تكون هذه الاكذوبة مداعبة ظريفة ليس أكثر ، فرسموا خطتهم على ألا يكون سفر ، وألا يكون ما وراء السفر من مشاق ونفقات ، ولا ماوراء ارسال الصورة الشمسية الى صاحب المجلة مما تعلم ، وما لا تعلم . . . كان ذلك رأى كثر منه سيحدث لو لم يقرر للمداعبة أن تكون ظريفة غير قاسية ؛ لذلك قرروا أن تكون حفلة السمر فى مساء ذلك اليوم ، وأن يفاجأ صاحبنا بأكذوبة ابريل بعد ما عساه أن يقال فى من خطب

ومقطوعات وأزجال ، فى حفلة كلها أدباء أبطال

قضى الشاعر يومه غير محسوب من عمره كما يقولون : أحلام شهية ، وآمال طلية ، وشرف ومجد ، وصيت لايحد ، ذهل حتى عن نفسه ، واختلط عليه يومه بأمسه ، يخاطبه مخاطبه فيجيب « نعم » حيث الجواب « لا » ، يجيب « لا » حيث الجواب نعم ، وقد يكتفى بايماءة من رأسه تصلح للنفى والاثبات ، وتؤدى معنى لا ونعم ، وما إن فرغ من عمله حتى رأى نفسه فى حجرة الاستقبال فى بيته ، ينظم وينسق ، ويرتب وينمق ، ثم فى حجرة المائدة يكللها بالازهار لأنها ستحظى بتكريم فائز المضمار . . . دقت الساعة تسعا ، فدقت « سماعة » الباب وإذا الطارق إخوانه المحتفلون ، أخذ يحييهم ، فيهنئون ، ثم دعاهم إلى المائدة ، فطفقوا يأكلون

جلس الشاعر على مقعد التكريم ، ولأول مرة يفوز بهذا المقعد ، فاحس الخيلاء تتمشى فى نفسه ، وخواطر العظمة تجيش فى صدره ، انبرى الخطباء أمام المنصة ، يقولون ماسمعته مرارا حول موائد التكريم ، حديث معاد ، لايحرف ولا يزداد ، وكان الخطباء بين اثنين : جاد منسجم فى جده ، وهازل غارق فى هزله والشاعر ترتسم على وجهه ألوان متعاقبة متأثرة بما يقال ، فهو خجل حين يفيض المدح ، متواضع حين يغلو الاعجاب ، مبتسم حين تشرق الدعابة ، ضاحك حين تدوى النكتة ، مزهو حين يذكر السبق فى المضمار ، ثمل حين تدار كأس الانتصار ؛ انتهى الخطباء من كلماتهم ، ولم يبق غير واحد من المنآمرين اعتذر بأن كلمته قصيرة فاترة ، قد يفوح شذاها إن جعلت مسك الختام

وهنا قام الشاعر المكرم ، يؤم المنصة ، متئد الخطى فى دلال ، مصعر الخد من جلال ، ولم لا ؟ ألم يكن المجلى فى حلبة الفرسان ؟ ألم يفز بالقدح المعلى فى الرهان ؟ ألم يشر أو سيشار اليه بالبنان ؟ ألم يصرع — وهو الشاعر الناشىء ، والأديب الحديث — فحول الشعراء ، وقدامى الأدباء فى الميدان ؟ أخذ أمام المنصة يجول ويصول ويهز جوانبها تارة بالشعر المسقول ، وأخرى بالنثر المعسول ، يخلع على الخطباء أبهج الحلل ، ويقلدهم أنصع الدرر ؛ حتى ملأ السمع ، وأثلج الصدر ، وأفعم القلب ؛ وأخيرا جلس كما قام بين عاصفة من الهتاف والتصفيق . .

قام صاحب مسك الختام ، وألقى فى أول كلمته مايناسب المقام ، ثم . . . ثم مادا ؟ . ثم استجمع قواه ، وشد من أعصابه كما يتجمع من يهم بالقاء قنبلة داوية ، وأراد أن يلقيها كلمة صريحة فلم تطاوعه نفسه أن يقذف بها صديقا أعز عليه من نفسه ، ولكنه أرسلها مبهمة تأخذ النفس فى استجلائها رويداً رويدا فتأنس لها ولا تنفر منها نفورا كبيرا . . إذن ماذا قال ؟ قال ! « ألما نزل فى ابريل ، ذلك الشهر الطويل ، شهر الكذب والتضليل ، وسكت . . .

هنا ذهبت نفوس المحتفلين غير المتآمرين وأو لهم الشاعر فى تأويل ذلك الذى تيل كل مذهب ، وأخذ الشك يدب إلى يقينهم رويدا رويدا ، كما يدب غسق الليل الى وضح النهار حين الغروب ، . . ولكن ما زال فى الافق بصيص من نور ، وفى النفس ذبالة من أمل ، لقد أطفأ ظرف الخطاب ، أنسيت الخطاب المزيف ؟ » الذى عرض على الجميع بين الدهشة والاستغراب ، فوجدوا أن خاتم البريد هو لمكتب البلد الذى به صاحبنا ، غير أنه ختم به مرتين ذلك الخطاب الذى لم يحظ بركوب القطار . . . وإذن كان ظرف الخطاب ، هو فصل الخطاب ، قطعت به (جهيزة قول كل خطيب) وصاح الجميع فى نفس واحد ، ابريل . . . ابريل ، كذبة ابريل ! لقد مثلت أجود تمثيل ، فكانت كذبة رائعة محكمة ، وكانت مفاجأة لذيذة ممتعة . فهل كانت كذلك فى نفس شاعرنا الكريم ؟ الجواب والمعنى فى بطن الشاعر كما يقولون . فوجىء صاحبنا بكذبة ابريل ، وأنت أدرى مايحوم حول المفاجآت من تكبير وتهليل .

أناب الشاعر من حلم لذيذ ، دام من الثامنة صباحا إلى العاشرة مساء ، على صوت قذيفة هذه المفاجأة الصارخة ، وانهار فى لحظة واحدة من الواقع مابناه الخيال والوهم من صروح فى ساعات وغار البشر فى ظلام العبوس ، ودفنت النشوة فى وجوم الدهشة ، وأرسل صاحبنا قهقهة عالية عصبية ؛ أمن الغيظ أو الكذب أو الغفلة ؟ لا أدرى ! ملأ السامرون حجرة السمر بصوت مزيج من تصفيق الانتصار ، وضجيج الدهشة ، وصياح الانكار ، وضوضاء الفرح ، ونشيج الأمل

فكيف كان موقف شاعرنا ؟ تكلف وسط هذا الموج الصاخب أن يظهر بمظهر الرجل الثابت الذى يقابل الخطوب بابتسام . والاكاذيب بابتسام ، وهتف من أعماق نفسه « ألا لعنة الله على الماجنين ، وأخذ يسلى نفسه بما حضره من حكم الشعراء ، بمثل قول أبى العلاء

# ٣ - بين المعرى ودانتى

## فى رسالة الغفران والكوميدية المقدسة

### بقلم محمود احمد النشوى

— أثر الروائيين فى اللغتين العربية والايطالية

حدثنا الدكتور جوفانى كابو فيلا عن أثر دانتى فى اللغة الايطالية إبان تقدمته لروايته فقال ( اليه يرجع الفضل فى تثبيت دعائم اللغة الايطالية التى ملأها وهى لا تزال فى مهدها بأقاصيص الحب والعدالة والحرية والجمال )

تلك كلمة نسطرها مقتنعين بها . فاللغة ايطالية وكل لغات أوروبا الحديثة إنما تزداد على مر الايام جمالا وحسنا وثراء من أخيلة ومن ألفاظ . انها تطرد فى الحسن اطراد الاوربيين فى الرقى . وهكذا اللغة تقوى بقوة الامة ، وتضعف بضعفها . وانا لنتقرى مصداق تلك النظرية فى الاوربيين المعاصرين فنرى نسبتهم فى اللغة كنسبتهم فى القوة . وقد كان الايطاليون ضعافا فى عهد دانتى فكانت لغتهم وليدة ، كما قال الدكتور جوفانى .

ونحن ما دهانا فى لغتنا ؟ . لقد كان عهدها الذهبى عصر المعرى إبان القرن الخامس الهجرى . ومن ذلك الحين أخذت تفقد شعاعها على يد التتار فى الشرق ، والاسبانيين فى الغرب ، والمماليك فى مصر ، ولا زالت تضعف تراكيبها ، وتتهلهل نسيجها ، حتى بلغت درجة

---

فظن يسائر الاخوان شراً ولا تأمن على سر فؤادا
فلو خبرتهم الجوزاء خبرى لما طلعت مخافة أن تكادا

هنا أحس زعيم المؤتمرين أن تلك المفاجأة - مهما يكن من شيء - قاسية شديدة ، فأخذ يلطف حرارتها ، ويخفض من شدتها بما قال مخاطبا الناشر : لا يكن فى نفسك يا أستاذ أثر من كذبة ابريل ، فوالله ما تدرى . لعل ذلك فأل جليل ، فتطلع علينا فى غرة مايو الجميل المجلة النزيهة . وفيها لك تاج واكليل

حسن ! وما رأيك فى أن ذلك الشاعر الموتور . هو صاحب تلك السطور ؟

فرحات عبد الخالق

( الصفر ) ضعفا وهزالا اواخر القرن الثالث عشر الهجرى .

بيد أن نهضتنا المباركة أعادت للعروبة طراءة الشباب وجمال الفتوة . وأرتنا كتابا من المعاصرين لا أسميهم ، ولا أبالغ ان قلت انهم فى الطليعة يسايرون الجاحظ ، وابن المقفع وعبد الحميد ، وعمرو بن مسعدة . فى الفكرة وفى الاسلوب

فذلك الضعف المطرد فى الامة العربية منذ القرن الخامس الهجرى . وتوالى الكوارث والمحن عليها أضعف من لغتها . وجعل أثر ( رسالة الغفران ) محدودا . وهل تستطيع رسالة الغفران أن تقاوم الضعف التى تفتحت أبوابه علينا من كل اتجاه ؟ . ان ذلك غير مستطاع . ولو أنها رقت ألفاظها ، وعذبت مفرداتها ، وسلمت من غرابة اتسحت بها ، لرجونا أن تلوكها الألسن فتعذب ، وتجول فى جنباتها الأخيلة فتسمو . ولكنها أبت أن تخرج الناس سافرة غير ذات نقاب . فوضعت من دونها حجبا وأستارا من اغراب ووحشية ومعاظلة لا تزول إلا بعد استشارة القاموس ولسان العرب ومعاجم اللغة . وقد تجد طلابتك وقد لا تجد . نعم قد لا تجد شرح بعض مفردات ( رسالة الغفران ) فى معاجم اللغة كلها . فحالت الغرابة دون تناولها ، وبقيت صدفاتها مغلقة على لآلئها ، فلم ينتفع بها أحد .

نزعة فى أبى العلاء إغرابه والعصر عصر حضارة ، وتوعره والزمان زمان رقة نمت فى نفسه بنمو مزاجه السوداوى ، وتقوت دعائمها بما كان يكاثر به العلماء بعضهم بعضا فى عهده من المباهاة بالغريب . ثم صوغه فى قالب جذاب ترغيبا فى حفظه .

تلك المدرسة التى كان يرفع لواءها الحريرى المتوفى سنة ٥١٦ هـ والتى وضع أساسها ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . وابن فارس المتوفى سنة ٣٩٠ . والخوارزمى المتوفى سنة ٣٨٣ ، والبديع الهمذانى المتوفى سنة ٣٩٨ ، وابن نباتة السعدى المتوفى سنة ٤٠٥ . والتى كانت تكلف بالغريب تلمس أو هى الأسباب لذكره والأكثار منه ، كان لها أثر فى نفس المعرى . فحببت اليه الأغراب والأغماض . وأخرى لعلها حدت به أن يغرب . تلك هى السخرية والدعابة التى يشم منها رائحة التطاول على الدين . فعمد المعرى للغريب يتوارى خلفه . ويتخذه جنا دون من كان يتقى ، فأرانا أفانين من الاغراب تعرب عن علمه باللغة بما تقصر دونه الاعناق ولا تكاد تحيط به العقول .

ولقد كان يأتى ببعض الغريب ثم يفسره بما نستنبط منه أن

شرح المفردات اللغوية كان أحد أغراضه من تدبيج رسالته .

وحسبي أن أضع أمامك بعض نصوصها لتحدثك عن غرابتها ، فأول ما ينطق به في رسالته قوله : قد علم الخبر الذي نسب اليه جبريل (بالحاء) . وبينا ابن القارح يطوف في روضات الجنة اذا به ينظر خمسة نفر فيقول لهم : ما رأيت أحسن من عيونكم ! من أنتم ؟ فيقولون : نحن حوران قيس تميم بن مقبل العجلاني ، وعمرو ابن أحمر الباهلي ، والشماخ بن ضرار أحد بني ثعلبة ، وعبيد بن الحصين النميري ، وحميد بن ثور الهلالي . فيحاور الشماخ في شعره ، فيقول له الشماخ : إنما كنت أسق هذه الامور وأنا آمل أن أقعر بها ناقة . أو أعطى كيل عيالي سنة . وأنا الآن إن احببت وردا من رسل الأواري ، قرب نهر كأنه دجلة أو الفرات . ولقد أراني في دار الشقوة أجهد أخلاف شياه لجبات لا يتسلى منهن القعب .

وكذلك قوله : وما عمل من أجناس المسكرات . مفوقات للشاربين . وموكرات كالجعة والبتع والمزر . والسكركة ذات الوزر . الى غير ذلك مما امتلأت به رسالة أبي العلاء . فكان نصوصا منيعة دون المعنى تحول بينه وبين الأفهام . ودونك مثلا من غريب ما ذكره وفسره حين يقول . فان خرج الى الحاء فقال : من أم شح جاز أن يقول : وحواري بح ، وبيح ، وبرح ، وبجح وبسح . فالمح البيضة ، وبح جمع أبح من قولهم : كبر أبح أي كثير الدسم . ويجوز أن يعني بالمح القداح كما قال السلمي

قروا أضيافهم رجحا بيح يعيش بفضلهن الحي سمر

ورح جمع أرح ، وهو من صفات بقر الوحش . وقد يقال لأظلاف البقرة رح . قال الشاعر الأعشى

ورح بالزماع مردفات بها تنضو الوغى وبها ترود

والسح تمر صغير يابس ، والجح صغار البطيخ قبل أن ينضج . وسواء لدينا أكان إغرابه معاياة لعلماء اللغة أم خدمة في سبيل إحيائها . أم تلك الاسباب كلها مجتمعة ، فقد كان ذلك النسيج دروعا حول المعنى رغبت الناس عنه . فلم تؤثر الرواية في الجماهير . ولعل اكثارها من نقاش النحو واللغة والصرف ، صرف قلوب الناس عنها . على حين كان داتي يتخذ من روايته عظة خلقية خلابة فتهافت الناس عليها منذ ترا ، في سماء ايطاليا .

ولعل مما يكبر المعرى في أعين النقاد أن نقاش رسالته وهو في غريب اللغة ، وعميق النحو والصرف والعروض ، وثلة من تلك الابحاث الجافة لم يكن جافا ، فقد أضفى عليه عذوبة من روحه جعلته عذبا شائقا . وتلك هي القدرة الفذة التي تجعل المعرى في الخالدين

## نفسية الشاعرين :

كان المعرى ههنا مرحا طروبا ، نابدأ بالفردوس ، وختم بالفردوس ، وأطلق لخياله العنان ، في السخر وفي الدعابة ، يسمر مع الشعراء والأدباء والنحاة . بل مع إبليس ، ومع الخزنة ، خزنة النيران : يرى المعذب تندلق أقتابه ، ويسق من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ، فيحاوره في النحو والصرف ، وفي الرواية والتصحيف ، دون أن تجدى لديه ضراعة المعذبين واعتذارهم عن الاجابة بما هم فيه . ولم يصحب المعرى دليلا في رحلته إيناسا لابن القارح ، وتعبيدا لسبيلها

ولكن داتي كان مروع القلب ، هلوع الفؤاد . ابتدأ الرحلة بالجحيم فلم يطق السير في ظلماتها وحيدا . فصحب الشاعر العظيم فرجيل ، يؤنسه ويهديه سواء السبيل . بيد ان اصطحابه لم يمنعه أن يشتد به تأثره ، حين يرى الجسد تتطاير مع اللهب من اللهب ، وحين يستمع العصاة وهم يصطرخون فيها داعين بالويل والثبور الواحد ، وبالويل وبالثبور الكثير .

ولقد أغمى عليه مرات عدة وعيه حينما كان يطوف في الطبقة الثانية من جهنم ، فرأى العاشقين باولو Paolo وفرنشيسكا Francesca وهما يتطايران متعانقين في لهب السعير . رأى داتي تلك المخلوقة الضعيفة تلفح وجهها النيران فأغمى عليه . ولما أفاق قصت عليه قصتها . وأنها كانت هيفاء القوام ، مشرقة الطلعة ، خطبها ( جانشوتو مالاتستا ) القصير القامة الدميم الخلقة . فأطمع أهلها ثراؤه . فتغاضوا عن دمامته ، وإبان الخطبة أروها أخاه ( باولو ) الوسيم القسيم ، فأحبته وظلت ترقب ليلة الزفاف التي تجلت لها سوداء قاتمة حين رأت زوجا دميما خدعت فيه بأخيه الذي ظلت عرى المحبة بينها وبينه متواصلة . حتى أتاحت لهما الفرصة سفرا من زوجها قريبا فالتمساها وتجاسرا بقرآن مغاقصة فيها ثم بلغاها فقداها فتوشجت بينهما أواصر المحبة ، حتى تكشفت أمرهما لأحد الخدم ، فسعى بهما لزوجها . فحضر على حين غفلة فرآهما معا محتلين في منأى عن أعين الرقباء ، فاستبقا الباب فاتبعهما بسيفه فقضى عليهما عقابا في الدنيا ، يتلوه خلودهما في الجحيم

# التصوير فى الشعر العربى

## للأستاذ فخرى ابو السعود

الوصف من أهم أغراض الشعر وأخص فنونه . وكلما كثر فى شعر لغة أو آثار شاعر ، دل على رقيهما الفنى ، إذ أن مناظر الطبيعة خاصة ، وروائع المشاهدات عامة ، من أشد العوامل تأثيراً فى النفس الشاعرة وتحريكا لعاطفتها وبعثاً لها الى القول . والوصف فى الشعر العربى غزير يتناول شتى الموضوعات ، ويبلغ فى يد كبار شعراء العربية غاية الاجادة . فكثيراً ما تخلص شعراؤنا من قيود المدح والرثاء والنسيب الاستهلالى - مهما كان تقيدهم بهذه الأغلال الثقيلة التى كبلت الشعر العربى - وعرجوا على وصف أثر من آثار الطبيعة أو المدنية ، فأبدعوا وأرضوا الفن ، أضعاف ما أرضوه بمبالغات المدح والرثاء والنسيب المدعى .

ولكن الذى أريد الاشارة اليه فى هذه الكلمة ، ان اعتماد الوصف فى الشعر العربى كان دائما على المعنى دون اللفظ ، على التشبيه والاستعارة والمجاز دون جرس الالفاظ وتتابع التراكيب ووقع الاوزان والقوافى . بينما الشعر الوصفى الغربى اعتمد على هذه الاشياء الاخيرة اعتمادا كبيراً . فبلغ الغاية فى المطابقة بين المعنى واللفظ مطابقة تملأ الوصف حياة وجلاء ، وتوفر بعض الشعراء على هذا الضرب من التصوير ، ومنهم ملتون وتنيسون ، ولا سيما الثانى الذى بلغ فى القدرة على تذليل اللفظ للمعنى واستخدامه فى تصوير ما يشاء حداً منقطع النظير . وأصحت آثار أولئك الشعراء مهبط وحى لكبار المصورين يستلهمونها ما حوت من روائع الاوصاف ومحكمات الصور ويسجلون ذلك على لوحاتهم .

اذا كان فى المنظر المراد تصويره حركة كجريان نهر أو عدو جواد استخدم الشاعر الغربى بحرا من بحور الشعر يلائم تلك الحركة ويحكيها . واذا كان به صوت أو أصوات مختلطة كهدير أمواج البحر أو قصف المدافع فى الحرب اختار من الالفاظ تلك التى تحتوى على حروف خشنة قوية ، واذا كان بصف منظرا ساكنا وادعا لم يذكر ذلك فى القصيدة ذكرا ، وانما استعمل الالفاظ ذات الحروف اللينة كالسين مثلا ، وهناك عدا هذا وذاك ضروب شتى من الملاءمة بين الصيغة والمعنى يفتن فيها الشاعر الوصاف ماشاء له اقتداره : ككثرة العطف وتكرار الحروف والكلمات والتراكيب والابيات الكاملة .

ولقد وقع شىء من ذلك فى بعض أشعار الوصف العربى ، ولكنه كان الهاما محضا او اتفاقا عارضا ساقت الشاعر اليه المصادفة السعيدة أو السليقة المجيدة ، دون أن يعمده أو يتكلف فى صوغه عناء ، ويقرأه القارىء العربى فيستطيبه ويعزو موقعه من نفسه الى مجرد جودة معانيه وحسن تشبيهاته . ويجمل ذكر شىء من هذا للتمثيل والبيان :

فى معلقته يصف امرؤ القيس الليل فى بيته المشهور

فقلت له لما تمطى بصلبه ... وأردف اعجازا ونآء بكلكل

وفضلا عن جودة المعنى وحسن التشبيه فى هذا البيت يزيد الوزن والتركيب الوصف المراد ظهورا : فالبحر الطويل ذو الحركة الوئيدة وتكرار العطف بالواو يمثلان بطء مسير الليل ولجاجه فى الاقامة وتماديه فى الطول خير تمثيل ، وفى بيته الآخر حيث يصف جواده بقوله :

مكر مفر مقبل مدبر معا ... كجلمود صخر حطه السيل من عل

نرى تتابع الصفات بلا فاصل فى الشطر الاول ، واستعمال الالفاظ الضخمة الخشنة فى الشطر الثانى يمثلان توثب الجواد وسرعة انطلاقه وارتداده ومفاجآت حركاته تمثيلا جيداً يصرف النظر عن تشبيهه بانحطاط الصخر من شاهق . وفى قول المتنبى :

أتوك يجرون الحديد كأنما ... سروا بجياد مالهن قوائم

خميس بشرق الارض والغرب زحفه

وفى أذن الجوزاء منه زمازم

نرى وصفا رائعا لجيش كثيف وئيد الزحف لكثافته ،

---

ولقد كان داتى يطوف فى الطبقة الأولى من الجحيم . فزلزلت الأرض زلزالها ، وانتشر فى الجو نور أحمر تكاثف حتى ملأ الآفاق فتقد كل المشاعر والحواس . لولا رعد قاصف دوى فى أذنيه فأفاقه وهكذا كان داتى مضطرب القلب مروعا من رحلته ، على حين ان ابن الفارض كان طروبا كما حدثنك حتى فى أشد المواقف إزاية للصخور الجلامد .

وذلك فرق ما بين الشاعرين : داتى العابس ، والمعرى الباسم فى رسالة الغفران لا فى اللزوميات .

يتبع

محمود احمد النشوى

وليس فى البيتين معنى كبير ، وليس فيهما سوى مبالغة غير معقولة ، ولكنه البحر الطويل يمثل هذه الحركة البطيئة أتم تمثيل ، هذا فضلا عن نغامة الالفاظ التى تخيرها الشاعر ؛ ونرى البحر الطويل يؤدى مثل هذا الغرض ويرسم صورة أخرى رائعة فى قول جميل

ولما قضينا من منى كل حاجة ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا بأطراف الاحاديث بيننا وسالت بأعناق المطى الأباطح

فهنا حركة الابل البطيئة واضحة ماثلة ، وقد كان جميل ملهما حيث ذكر كلمة أعناق فى البيت الثانى فانها وحدها ترسم الصورة التى اراد : فان ذكر الجزء الأهم من الصورة ، كثيرا مايبعث الى المخيلة باقى الاجزاء ويبرز الصورة جلية كاملة ، ويترك البحر الطويل مثل هذا الأثر أيضا فى قول البارودى الذى اشار اليه الدكتور صبرى فى كتابه عن الشاعر :

— ونهنا وقع الندى فى خيلة —

فاذا قرىء هذا الشطر بتأن وجدنا الوزن يمثل تساقط قطرات الندى متتابعة ، اما الحركة السريعة فيمثلها البحر الكامل ، ومن ذلك قول المتنبى :

اقبلت تبسم والجياد عوابس يخبين بالحلق المضاعف والقنا
عقدت سنابكها عليها عثيرا لو تبتغى عنقا عليه لامكنا

ففى البيت الثانى نرى مبالغة أخرى من مبالغات المتنبى ، وهى وحدها لاتكاد تؤدى معنى ، ولكن البحر الذى صيغت فيه القصيدة يؤدى خبب الجياد خير أداء ، حتى ليكاد يريك توثب الفرسان فوق ظهورها ، ولو حاول الشاعر وصف الخبب فى البحر الطويل لما استقامت صورته

ولتكرار الألفاظ أو التعبيرات احيانا اثر بليغ فى ابراز الصور وبعث الأخيلة . ففى قول ابن هانى الأندلسى :

وفوارس لا المضب يوم مغارها مضب ولا الوعر الحزون حزون

يوحى تكرار كلتى مضب وحزون الى المخيلة تتابع الهضاب والربى أثناء عدو الفرس ، فكأنه يعرض أمام العين شريطا سينمائيا متحركا ، أضف الى ذلك صوغ البيت فى البحر الكامل واختيار الكلمات الفخمة ، وفى قول الاستاذ المازنى :

لغط اليم اذا اليم طما والتقت فيه هضاب بهضاب

ترى صورة رائعة لجيشان اليم ، ولا يرجع هذا الى معنى البيت وحده ، ولكن الى وزنه والفاظه كذلك : فبحر الرمل يمثل الحركة المضطربة أدق تمثيل . وتكرار كلتى اليم وهضاب يوحى الى المخيلة تتابع اللجج ، وتكرار حرف الهاء ثلاث مرار فى الشطر الثانى يزيد الحركة تصويرا وبروزا

كان ذلك فى الغالب كما ذكرت محض اتفاق أو الهام ، ولم يقم فى العربية فرد أو مدرسة تتوفر على هذا الضرب من النظم والتصوير وانما حين اتجه نظر الشعراء الى اللفظ صادف ذلك عصر انحلال الأدب فلم يسخروا اللفظ لابراز المعنى ، بل صرفوا كل همهم الى اللفظ دون المعنى ، وولعوا بالألاعيب اللفظية التى سموها محسنات ، وأوغلوا هذه الغثاثات على أجل فنون الشعر خطرا كارثا . والنسيب فاسفت وانعدم فيها الحس والشعور ؛ فرأينا شاعرا ينسب فيقول ناظراه فيما جنى ناظراه أو دعانى أمت بما أودعانى

وآخر يتوجع فيقول :

لى مهجة فى النازعات وعبرة فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وثالثا يمدح فيقول :

وان أقر على رق أنامله أقر بالرق كتاب الانام له

وليس فى كل هذا تعبير عن شعور أو أداء غرض ، وماهو إلا عبث بالألفاظ واقتناص للجناس والطباق والسجع والتورية ، وإنما أكثرت من هذه الامثلة الغثة لأوضح كم كان الشعر العربى يربح لو أن المجهودات التى صرفت فى مثل هذا التحايل العقيم وجهت إلى تسخير اللفظ للمعنى والاستعانة بهما معا على ابراز الوصف المقصود كما يصنع شعراء الغرب

وليس فى طبيعة اللغة العربية قصور يحول بينها وبين مجاراة اللغات الأخرى فى هذا الباب ، بل لها من الميزات ما يقدمها على غيرها : فهى كثيرة البحور التى يؤدى كل منها غرضا مختلفا ، غزيرة الألفاظ الوعرة الضخمة والرقيقة اللطيفة التى توحى بخشونتها أو رقتها مختلف الصفات ، غنية بالحروف السلسة اللينة والحروف الخشنة الجافية التى تطاوع الناظم القدير . ليس يعوز العربية شىء من ذلك وانما يعوزها الجرأة من الناظمين بها والعزم والجلد .

فخرى أبو السعود

---

## الانتصار ؟!..

# ٥ — بديع الزمان الهمذانى

## للدكتور عبد الوهاب عزام

### عقيدته

وكان سنى الاعتقاد يكره المعتزلة ويلعنهم (١) قال فى الديوان متغزلا :

ذات جفون ضعفت كذهب المعتزلة

وله قصيدة يرد فيها على الخوارزمى قوله فى الصحابة . ومن أجل ذلك اتهم فى نيسابور بميله عن العلويين ، فبرأ نفسه وروى لهم من شعره فى رثاء الحسين ، فهو على حبه آل البيت لا ينهب مذهب الشيعة فى الخلافة وما يتصل بها . يقول فى الديوان :

يقولون لى لا تحب الوصى ... فقلت الثرى بفم الكاذب
أحب النبى وأهل النبى ... وأختص آل أبى طالب
وأعطى الصحابة حق الولاء ... وأجرى على السنن الواجب
فان كان نصبا ولاء الجميع ... فانى كما زعموا ناصبى
وان كان رفضا ولاء الوصى ... فلا يبرح الرفض من جانبى . الخ

وفى رسائله واحدة كتبها الى بعض الوزراء يشكو من ظهور التشيع فى هراة ويحذر أن يفيها ما أصاب نيسابور وقم والكوفة:(٢)

« ورجع صاحبى آنفا من هراة فذكر انه سمع فى السوق صبيا ينشد أن محمدا وعليا ، لعناتيا وعديا . فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدى ، لكفتنى شغل الشكاية ، وولى النعمة شغل الكفاية ، ويل أم هراة ، أنصب الشيطان بها هذه الحبالة ، وصرنا نشكو هذه الحالة . والله ما دخلت هذه الكلمة بلدة الا صبت عليها الذلة ، ونسخت عنها الملة ، ولا رضى بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم ، وألقى بينهم بأسهم . هذه نيسابور منذ فشت فيها هذه المقالة فى خراب واضطراب الخ ،

### أدبه

قدمت فى المقالات الماضية طرفا من سيرة الهمذانى وأخبار أسرته وأحوال عصره ، وأبين الآن عن أدبه : نثره وشعره

كان أحمد بن الحسين الهمذانى أعجوبة فى ذكائه وحفظه ، فيسر له علم واسع باللغة والأدب . وهو يقول فى حديثه عما شجر بينه وبين أبى بكر الخوارزمى : « فقلت يا أبا بكر هذه اللغة التى هددتنا بها وحدثتنا عنها ، وهذه كتبها وتلك مؤلفاتها ، فخذ غريب المصنف ان شئت ، واصلاح المنطق ان أردت ، والفاظ ابن السكيت ان نشطت ، ومجمل اللغة ان احترت ، فهو الف ورقة ، وادب الكاتب ان اردت ، واقترح على اى باب شئت من هذه الكتب حتى اجعله لك نقدا ، واسرده عليك سردا ، فقال اقرأ من غريب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال وما أمساه فاندفعت فى الباب حتى قرأته فلم اتردد فيه ، وانيت على الباب الذى يليه ، ثم قلت اقترح غيره ، فقالوا كفى ذلك ، فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من أخبار فصيح الكلام ولا اطالبك بسواه ، ولا اسألك عما عداه ، فوقف حماره ، وخمدت ناره ، وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهاتوا غيره ، فقلت يا أبا بكر هات العروض ، فهو أحد أبواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بالقابها واياتها ، وعللها وزحافها ، فقلت هات الآن فاسرده كما سردته ....»

وقد أعجب الناس بذكائه وبديهته ، وتحدى هو الناس بهما فجاء كثير من منشآته عفو البديهة ، ولو روى فيه لجاء خيراً من ذلك .

قال الثعالبى فى اليتيمة : « ولم ير ولم يرو أن أحداً بلغ مبلغه من لب الأدب وسره ، وجاء بمثل إعجازه وسحره ، فانه كان صاحب عجائب ، وبدائع وغرائب ، فمنها أنه كان ينشد القصيدة التى لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتا ، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها ، لا يخرم حرفا ولا يخل معنى ، وينظر فى الاربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه ولم يره نظرة واحدة خفيفة ثم يهد بها من ظهر قلبه هداً ، ويسردها سرداً . وهذه حاله فى الكتب الواردة عليه وغيرها . وكان يقترح عليه عمل قصيدة أو انشاء رسالة فى معنى بديع ، وباب غريب ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة والجواب عنها فيها . وكان ربما يكتب الكتاب المقترح عليه فيبتدىء بآخر سطر منه ثم يرجع الى الأول ، ويخرجه كأحسن شىء وأملحه ، ويوشح القصيدة الفريدة من قوله بالرسالة الشريفة من انشائه ، فيقرأ من النظم والنثر ، ويروى من النثر والنظم ، ويعطى القوافى الكثيرة فيصل بها الآيات الرشيقة . ويقترح عليه

(١) الرسائل ص ١٦١ (٢) — ص ١٨٢

كل عويص وعسير من النظم والنثر فيرتجله فى أسرع من الطرف على رق لايلمعه ، ونفس لايقطعه ، وكلامه كله عفو الساعة . . . . وكان يترجم ما يقترحه عليه من الأبيات الفارسية المشتملة على المعانى الغريبة بالأبيات العربية فيجمع فيها بين الابداع والاسراع ، الى عجائب لا تحصى ، ولطائف تطول أن تستقصى . »

لدينا من آثار الهمذانى ديوانه ورسائله ومقاماته . فأما الديوان فيتضمن زهاء ثلاثمائة وألف بيت ، منها ست وثلاثون قصيدة وقطعة فى المدح مدح بها من الملوك والامراء : شمس المعالى قابوس بن وشمكير ، والسلطان محموداً الغزنوى ، وبنى فريغون وخلف بن أحمد ، وبنى ميكال . ومن الوزراء الصاحب بن عباد ، وأبا نصر بن زيد ، ومدح جماعة من رؤساء جرجان ونيسابور ونسا وهراة . وهو يجرى فى المدح على السنن المعروف ، ولكنه لايلتزم الغزل فى أول المدائح ، ولا يطيل فى معظمها .

ومن جيد شعره فى المدح القصيدة التى أولها :

على ألا أرى العيس والقبا ... وألبس البيد والظلما . والليلا الخ (١)

وقوله فى بنى فريغون :

ألم تر أنى فى نهضتى ... لقيت الغنى والمنى والأميرا
ولما التقينا شممت التراب ... وكنت امرأ لا أشم العبيرا
لقيت امرأ ملء عين الزما ... ن يعلو سجايا ويرسو ثبيرا
لآل فريغون فى المكرمات ... يد أولا واعتذار أخيرا
اذا ما حللت بمغناهم ... رأيت نعيما وملكا كبيرا

وأما الغزل فله فيه غير مائى قصائد المدح ست قطع تحوى واحداً وعشرين بيتا . والبديع ليس غزلا ، ولكنه حاكى الشعراء فى ضرب ألفوه وافتنوا فيه وعدوه من فروض الشعر .

وله قطع فى وصف الأسد ، والليل ، والمجمر . . وقطعته فى وصف الليل نموذج من شعره المرتجل . ارتجلها حين اقترح عليه الموضوع والقافية :

أنعت ليلا ذا سواد كالسبج ... مخدر الصبح خدارى الدعج
أدرج العالم فيه لاندرج ... أو نسج الحرمان منه لاتنسج
ليلا تحزون النجم قارى النهج ... العمر فيه نقطة لو انفرج
والدهر من أجزائه ولا حرج ... أيسر مافيه الشهور والحجج الخ

ويجود شعر الهمذانى فى الرثاء والمواعظ . فى ديوانه ست مراث إحداها فى واقعة كربلاء ، وله اثنتان وعشرون قطعة صغيرة فى المواعظ تنبىء بما فى نفسه من الانقباض والحزن والتشاؤم كما قدمت فى الكلام عن أخلاقه . ومن مرثية الحسين بن على :

يالمة ضرب الزمان ... م على معرسها خيامه
لله درك من خزامى ... م روضة صارت ثمامه
فوربه قامت به ... للدين أشراط القيامه
لمضرج بدم النبو ... ة م ضارب بيد الامامه
متقسم يطأ السيوف ... م مجرعا منها حمامه
منع الورود وماؤه ... منه على طرف الثمامه الخ

وقد قدمت آنفا مرثية الخوارزمى التى أولها :

حنانيك من نفس خافت ... وليك من كمد ثابت (١)

ويقول فى المواعظ ، وهو فى هذا يشبه أبا العتاهية :

ياحريصا على الغنى ... قاعدا بالمراصد
ليست فى سعيك الذى ... خضت فيه بقاصد
ان دنياك هذه ... لست فيها بخالد
بعض هذا فانما ... أنت ساع لقاعد

ويقول :

ياقلب ما أغفلك ... عن حركات الفلك
ويحك هذا الردى ... اليك يسعى ولك
انت على سفرة ... يشيب منها الحلك
من انتحى نهجه ... بغير زاد هلك

ويقول :

أجدك ماتنبه للدنايا ... كأنك واجد عنها ملاذا
لذاك على الغنى تزداد حرصا ... وفى حلبات سكرتها نفاذا
هب الدنيا تحقق ماترجى ... من الآمال ويحك ثم ماذا ؟

ونراه يتكلم بلسان الصوفية فى القطعة التى أولها :

ان لله عبيدا ... فى زوايا الأرض غربا الخ (٢)

ويقول فى صديق له حبس :

مالى أرى الحر ذاهبا دمه ... ولا أرى الذل ذاهبا ذهبه
أفلح من لؤمه وسيلته ... وليس ينجو من جرمه حسبه
من شاء ألا يناله زمن ... فليكن العرض جل ما يهبه
أراحنا الله منك يا زمنا ... أرعن يصطاد صقره خربه

(١) الديوان ص ٤

(١) الديوان ص ١٢ (٢) ص ٣٤

يا ساغبا جائع الجوارح لا يسكن الا بفاضل سغبه
ياضرما فى الأنام متقدا والجود والمجد والندى حطبه
ياصائدا والعلى فريسته وناهبا والجمال منتهبه
ياسادتى لا تلن عظامكم لدهر الدهر ان يهج كلبه

بل هو حين يحض على التمتع بالدنيا ، واهتبال فرص العيش ينم عن حزن وتشاؤم يذكرنا بعمر الخيام فانما يلهو ليلهى تباريح الحياة

انما الدهر الذى يصـ ـدقنى حر المصاع
كالنى مدا وأجزيـ ـه من الحلم بصاع
فاغنم الايام ما أل فيتها خضر المراعى
انما نحن من الدهـ ـر رواد ذى سباع
لاتدع من لذة العيـ ـش عيانا لسماع (١)

ويقول فى قصيدة يمدح فيها ابا جعفر الميكالى :

تستبيح الدهر والايـ ـام منا تستبيح
ضاع مانحميه من اعـ ـراضنا وهو يبيح
نحن لاهون وآجال المنى لاتستريح
ياغلام الكاس فاليا س من الناس مريح
أنا يادهر بأبنا ئك شق وسطيح الخ (٢)

وللهمذانى قطع كثيرة فى الالغاز والمعميات ، وكان الرجل نادرة فى الذكاء والبديهة فكان يختبر الناس ويختبرونه بهذا الضرب . وفى الديوان منه اثنان وعشرون ، ويكثر فى شعره الترجمة عن الفارسية . وفى الديوان ثلاث عشرة قطعة مترجمة عن هذه اللغة . وكانت الترجمة بين العربية والفارسية سنة شائعة بين متأدبى المسلمين فى ايران وما يجاورها ، اذ كان الشعر الفارسى قد بلغ أشده ، وكانت العربية لا تزال لغة العلم والأدب . وكثير من شعراء هذا العصر وما بعده نظم باللغتين ، ولقب لذلك بذى اللسانين ، وفى يتيمة الثعالبى أمثلة من هذا . وهذه الترجمة تهم دارس الأدبين العربى والفارسى . ولكن يقلل خطرها أننا نجد الترجمة ولا نجد أصلها ، ولم أعرف من الشعر الفارسى الذى ترجمه البديع الا قطعة أثبتها محمد عوفى فى كتاب لباب الألباب فى ترجمة المنطقى الشاعر الفارسى ، ويقول عوفى ان الصاحب بن عباد أمر البديع بترجمتها ، فقال على أية قافية ؟ فقال الطاء . قال ومن أى بحر ؟ قال أسرع يابديع ، فى البحر السريع ، فترجمها ارتجالا والأبيات :

بلك بوى بد زويدم أزدوزلفت جون زلف زرى اى صنم بشانه
جونالش بسختى همى كشيدم جون موركه كندم كشدنجانه
باموى بخانه شدم بدركفت : منصور كدامست أزين دوكانه

والترجمة :

سرقت من طرته شعرة حين غدا يمشطها بالمشاط
ثم تدلت بها مثقلا تدلح النمل بحب الخناط
قال أبى من ولدى مسكنا كلا كما يدخل سم الخياط

ويرى أنه تصرف فى ترجمة البيت الثالث . وأصله : « ذهبت الى الدار بالشعرة . فقال ابى : منصور أى الاثنين ؟ . وفى الديوان بيتان قبل هذه الثلاثة . (١)

ومن الترجمة التى يتجلى فيها اسلوب الفارسية هذان البيتان فؤادك أين ؟ سباه . بماذا بمقلته . من ؟ غزال رعيب سلابا . نعم . أين ؟ وسط الطريق متى ؟ اليوم . هذا سلاب غريب

وهى تذكر دارس الأدب الفارسى بمطلع قصيدة محتشم من شعراء الدولة الصفوية فى رثاء آل البيت

وفى الديوان قطعة فيها كلمات وشطرات فارسية ، والشعر المنظوم بلغتين أو أكثر يسمى الملمع فى عرف أدباء الفرس او الترك وهو كثير عندهم (٢) ويكثر فى شعره المجزوء ، ولا سيما الهزج والكامل . وسأعود الى هذا حين الكلام فى سجعه .

وأحسب بديع الزمان نظم معظم شعره فى أوائل حياته . ففى الديوان أبيات نظمها وهو فى الثانية عشرة ، وهو يذكر سن العشرين فى بعض شعره :

إنى بعشرين تصاريفها بعد الثمانين تعرفتها

ويذكر الخامسة والعشرين وهو يمدح خلف بن احمد :

ألم يك فى خمس وعشرين حجة تسنمتها هاد لمثلى الطرائق

ثم هو يلعن النظم فى كلامه عن الخوارزمى فى بعض رسائله وذلك دليل على أنه مال عن الشعر : « هو خوارزمى ، ولست من خوارزم ، وهو شاعر ولعن الله النظم » وأوضح من هذا قوله فى رسالته الى ابن ظهير رئيس بلخ

« كنت نويت أ لا أقول الشعر فأبت النملة الا الدبيب . وأجدنى قد اكتهلت والكهل قبيح به الجهل . » (٣)

يتبع

عبد الوهاب عزام

(١) الديوان ص ٥٢ (٢) ص ٢٠

(١) لباب الالباب ص ١٦ والديوان ص ٤٨ (٢) الديوان ص ٦٤
(٣) ١٤٤ من الرسائل — ط الجوائب

# من طرائف الشعر

## الى البحـــر

### للشاعر الوجداني علي محمود طه

قف من الليل مصغياً والعباب ... وتأمل في المزبدات الغضاب
صاعدات تلوك في شدقها الصخر ... وترمي به صدور الشعاب
هابطات تئن في قبضة الر ... يح وترغى على الصخور الصلاب
ذلك البحر : هل تشاهد فيه ... غير ليل من وحشة واكتئاب ؟
ظلمات من فوقها ظلمات ... ترامى بالمـــائج الصخاب
لا ترى تحتهن غير وجود ... من عباب وعالم من ضباب
أيها البحر كيف تنجو من اللي ... ل ؟ وأين المنجى بتلك الرحاب
هو بحر أطم لجاً وأطغى ... منك موجاً في جيئة وذهاب
او ما تبصر الكواكب غرقى ... في دياجيه كالسفين خوابي ؟
وترى الارض في نواحيه حيرى ... تسأل السحب عن وميض شهاب
ويك يا بحر ما أنينك في اللي ... ل أنين المروع الهيّاب
امض حتى ترى المدائن غرقى ... وترى الكون زخرة من عباب
إمض عبر السما مواطغ على الأف ... لاك واغمر في الجو مسرى العقاب
ذاك أو يهتك الظلام دياجيـ ... ـه وينضو ذاك السواد الكابي
وترى الشمس في مياهك تلقى ... خالص التبر واللجين المذاب

أقبل الفجر في شفوف رقاق ... يتهادى في منظر خلاب
حُلل من وشائع النور زهر ... يتماوجن في حواشي السحاب
واذا الشاطىء الضحوك تغنى ... حوله الطير بالأغاني العذاب
ونسيم الصباح يعبث بالغا ... ب ويثني ذوائب الاعشاب
ومن الشمس جمرة في ثنايا الـ ... ـموج يذكو ضرامها غير خافي
ومن البحر جانب مطمئن ... فرحي الأديم غض الأهاب
نزلت فيه تستحم عذارى الـ ... ـضوء من كل بضة وكعاب
عاريات يسبحن في اليم لكن ... لفّها الرغو في رقيق الثياب
فاذا البحر يرقص الموج فيه ... واذا الطير صدّح في الروابي
راقصات الامواج علمن قلبي ... راقصات المغرّد المطراب
وأفيضي عليه من سلسل الوحـ ... ـي نميراً كالجدول المنساب
واستثيري عواطفي ودعيني ... أسمع البحر أغنيات الشباب

لي وراء الامواج يا بحر قلب ... نازح الدار ماله من مآب
نزعته مني الليالي فأمسى ... وهو ماقٍ في وحشة واغتراب
ذكريات تدنى القصي ولكن ... أين مني منازل الاحباب
أنا وحدي هيمان في لجك الطا ... مي غريق في حيرتي وارتيابي
أرمق الشاطئ البعيد بعين ... عكفت في الدجى على التسكاب
فسواء في مسمعي من ذراه ... صدحة الطير أو نعيق الغراب
وسواء في العين شارقة الفجـ ... ـر أو الليل أسود الجلباب
بيد أني أحس فيك شفاء ... من سقامي ورحمة من عذابي
أنت مهد الميلاد والموت يا بحر ... ومثوى الهموم والاوصاب
فأنا فيك أطرح الآن آلا ... مي وعبء الحياة والاحقاب


الملاح التائه

ديوان الشاعر علي محمود طه

صـــدر

في اول مايو

## النـــــائلة . . .

كاعبٌ زادها الشحوب جمالا ... وكساها اليتمُ الرهيبُ جلالا
أمعنَ الهمُّ في مدامعها نزْ ... حاً وفي قدِّها النضيرُ هزالا
ليست بالى الثياب وجرت إثرَها من جلالها أذيالا
تمعنُ النخلةُ الملحةُ والعزْ ... ة في قلبها الكليم نضالا
كم تمنَّت على الصبا نعمةَ المو ... ت إباه فما تطيقُ السؤالا
ولوان الحمامَ طوع بنان الـ ... ـناس ، كان الانسان أسعدَ حالا

حشها الجوعُ للسؤال كما تحـ ... ـتثُّ للموتِ مجرماً قتالا
فأتت سيداً وقد جرَّرَ الأذ ... يال تيهاً على الورى واختيالا
سأله قرشاً ومدَّت له الكفـ ... ـفَّ ترجّى من الكبير النوالا
شاهدٌ لو رجت نوالَ صخور ... لجرى الصخرُ بالدموع وسالا
ردها عنه صاخباً ، بكلام ... كان في قلبها الكسير نبالا
فانثنت عنهُ والفؤادُ جريحٌ ... وانثنى دمعُها أسى هطّالا

ويلها شرعةً أعزَّت لئيما ... قد مادى على الكريم وصالا
بعض هزل الزمان أن يوسع الأحـ ... ـرارَ ظلما ويكرمَ الأنذالا
زمنٌ يُنزلُ المراتعَ قطعا ... نَ الخنازيرِ والصحارى التبالا

عجبي للغنيّ يغفو قريرَ العـ ... ـينِ في ليلهِ ويَنعمُ بالا
بينما النسوة الضوامرُ يبكـ ... ـينَ ويكثرنَ في الدجى إعوالا

من يعولُ الفتاةَ أرمضها الجو ... عُ وآضت بها الهمومُ خيالا
لا أبٌ يمسكُ الانينَ إذا الجـ ... ـوعُ ولا الدمعَ إن ألحَّ وسالا
أو تراها تقضي من الجوع بينا ... غيرُها يمرحُ السنين الطوالا
عزَّت اللقمةُ الطهورُ عليها ... مثلما عزَّت الثُّما أن تُنالا
فغداً تأخذُ الطريق إلى المنـ ... ـكر كرهاً وتخلعُ الأسمالا

٢٠٥

وتجلى كالبدر في أفق الشر ... ـ بهاء وروعة ودلالا
وترى سادة النضار عبيداً ... يتمنَّونَ عطفها بُذالا
.. ويقول الانسانُ تلك فتاة ... لؤمت نفسها وسامت فعالا
باعت العرض باللذائذ طوعاً ... فستلقى من الاله نكالا
كذبوا ! فالاله أعدلُ من أن ... يجزيَ الساغبَ البريءَ ومالا

نخلق المجرمين نحن بأيدي ... نا ونسقيهم الردى أشكالا !

دمشق — أمجد الطرابلسي

## أحيي الربيع . .

أتى من يبشرني بالربيع ... ويعجب لي كيف لا أفرحُ
وكيف تكون الربى في حبور ... وتزهو الحقول ولا أمرح
وكيف الطيور على غصنها ... بأشجى أناشيدها تصدح
وما للنفسج من زرقة ... ومن عبق روحه تنفح
فقلتُ وقد ضقت باللوم ذرعاً ... وفي وجنتي عبرة تسبح
أحيي الربيع وفي مهجتي ... شتاء من الغمّ لا يبرح

حسين شوقي

## ليت قلبي . . !

إيه يا دهر ما مخالبك العصـ ... ـل بأقسى عليّ من مقلتيّا
نظراتي للناس تترك في القلـ ... ـب ضراماً يكوي ضلوعي كيّا
لا أرى في الحياة غير حريص ... يذرف الدمع بكرةً وعشيّا
وكئيب اذا تنفس خلت النـ ... ـار تذرو لظى الجحيم عليّا
ليت قلبي من الحجارة صلد ... ليس يدري من الحقيقة شيّا
أنا يا قوم شاعر ملأ الشعـ ... ـر جناني وفاض من جانبيا
قلبي النظم امسةً وضياءً ... غير اني أرى الظلام قويّا

من رملة فلسطين — عبد الرحمن رباح

# القلب الطريد

إن بين الضلوع قلباً طريداً ... عاثر الجد لم يُقَل من عثاره
قام دهراً إلى اليسار رثيثاً ... مشرفاً قابضاً على منظاره
آملاً أن يلوح قلب نقيّ ... يبذل الود ساذج فى نفاره
يعرف الحب والحياة فيُلقى ... عن فؤاد المحب ثوب صغاره
عام الجمال فى كل لون ... وخبير بخافيات مَثاره
يستطير الذكاء منه شعاعا ... ساكبا ضوأه على اقطاره
يشرق القول من سناه ويمشى ... شرطىّ العفاف فى أنواره
ويفيض الحنان نهراً دفوقاً ... يجرف العازلين فى تياره

آملاً أن يراه منه قريباً ... قبل موت الهوى وقبل اندثاره
إن شدا بالغرام هب مجيباً ... ذلك القلب شادياً بجواره
يرسل اللحن فى الفضاء قويا ... ويسر الأنين فى أوتاره
جامد الطرف ذائبا من حنين ... مسنداً رأسه الى قيثاره

ويحه لم يجد مبادل حب ... أوصديقاً يصون من أسراره
هام شرقاً وهام غرباً كئيباً ... يستميح الحنان فى أطماره
طارقاً للفؤاد من كل ظبى ... خفّ أو لم يخف لى بمكاره
ويوالى الهجوم حتى أراه ... مشرئباً يشب فى أسواره
كلما دقّ باب قلب ترامى ... فيه شخص يجيل فى انظاره
خافتٌ رده يقول تأخر ... ت كثيراً ياصاح عن ايجاره
طال تسياره وآب ولم يحـ ... ـظ بغير الكلال فى تسياره
فأبى بعدها القلوب مقيلا ... واستعاض البيوت من اشعاره
يشتكى دهره ويدلع فيها ... من سعير الغرام ألسن ناره
كاحلا بالدماء من مهجة القلـ ... ـب عيون القصيد فى أشطاره

هدنة ما أقت شهرا عليها ... ثم عاد الفؤاد ماضى سعاره
فهو يغلى به ويطغو عليه ... وجده المستثار من أغواره
هابطا بالهموم أو مستطارا ... داويا بالانين فوق مطاره
زاخرا بالدماء فالحب فيه ... متعب يرتمى على احجاره
قابضا كفه على ذكريات ... كن بالامس فى رمال قراره
باسمات وهن حول غرامى ... مغضبات مضين فى آثاره
ذكريات اثارها من جديد ... ستثير الغرام من أوكاره
عابث بالنهى كثير التأبى ... حارس غصنه وطيب ثماره
باسم عند مايرانى وجيدا ... وخجول اذا مررت بداره
سارح الطرف إن رآنى وصحى ... ذاهل كالغريق فى افكاره

اسجحى ياحبيبتى ففؤادى ... قلبٌ كالحياة فى أطواره
قد ملكت القياد منه وصارت ... بسمات من فيك إكليل غاره
فاحذرى أن يثور بعد سكون ... فيطير الغرام فى إعصاره

« المنصور »

نوبار القاهرة

---


ظهر كتاب

مرشد المعلم

تأليف

سير جون ادمز

أستاذ التربية بجامعة لندن سابقاً

وترجمة الأستاذ محمد احمد الغمراوى

خريج المعلمين العليا وجامعة لندن

يعرف الطالب بخير وسائل تربية نفسه والنجاح فى حياته الدراسية فى عشرة فصول شيقة مضافا إليها فصل ممتع فى كتب المراجعة فى اللغة العربية . مطبوع ومجلد بمطبعة دار الكتب فى نحو ٣٣٠ صفحة من الورق الجيد وتعميما للانتفاع به جعلت اللجنة ثمن النسخة منه ٨ قروش فقط غير أجرة البريد

ويطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر بشارع الكرداسى رقم ٩ بجوار سراى شريف باشا تليفون ٣٩٩٢

في الادب الفرنسي

# الدوق دى لاروشفوكو

## La Rochefoucauld

للدكتور حسن صادق

كتب أديب فاضل فى عدد الرسالة الغراء رقم (٤٠) يقول إن السبب الأول فى سقوط روايات كورنى الاخيرة يرجع إلى غلو هذا الشاعر « فى مبدئه الذى يعنى بتصوير الاشخاص كما يجب أن يكونوا ، فجاءت شخصيات قصصه الأخيرة خارجة عن حدود المعقول » ، لاالى اضمحلال قواه الذهنية من أثر الهرم كما ذكرت فى مقالى عن هذا الشاعر العظيم . وأعتقد أنى محق فيما ذهبت اليه لأن كورنى قال عن نفسه بعد فشل قصصه الأخيرة « شعرى ذهب مع اسنانى » ، ولأن شخصيات قصصه الأولى الخالدة كالسيد وهوراس وسنا تعلو على الضعف الانسانى وعلى الرغم من ذلك أبلغت الشاعر قمة المجد وأكسبته لقب : كورنى العظيم

ثم قال الأديب الفاضل ان كلمات فولتير : « الشرح الوحيد لكتب كورنى يجب أن يكون بكتابة هذه الكلمات فى أسفل كل صحيفة ! جميل . جليل . إلا هى ! » ، على ماجاء فى كتب الآداب الفرنسية ، قيلت فى راسين لا فى كورنى . وأصر على أن فولتير الذى عرف بالبخل الشديد دفعه اعجابه بكورنى الى أن يقبل ابنة اخته ويزودها بمهر ثم يزوجها . ولم يكفه هذا بل نشر كتبه وشرحها إمعانا فى اظهار إعجابه بالشاعر الأكبر ، وكتب فى مقدمة شرحه تلك الكلمات . وأرجو من الاديب الفاضل أن يتفضل بارشادى الى كتب الأدب التى ذكرت أن فولتير قال تلك الكلمات فى راسين لا فى كورنى وله منى وافر الشكر

والآن نتحدث عن الدوق دى لاروشفوكو الذى شغل أذهان الناس فى عصره وأقلام الكتاب والنقاد فى العصور التالية . ولم يخرج هذا الرجل للناس من الآثار الأدبية غير مذكراته شأن أمثاله النبلاء الاغنياء ، وكتاب صغير الحجم عنوانه : « مواعظ أو تأملات وأحكام أخلاقية » جمع فيه كل آرائه فى العواطف الانسانية ، بعد أن خيبت الحياة آماله ودكت احداث الزمن صروح أحلامه ، وذهبت الحقيقة المريرة بأوهام طموحه ، فجاءت هذه الآراء معتمة حزينة تلقى على عواطف الانسان رداء من الشك الأليم وتظهرها فى صورة بشعة مخوفة ، وهى تتلخص فى كلمتين : فلسفة الأثرة . وهذه الفلسفة هى التى حركت الاقلام وأثارت المناقشة ، وألفت باسم صاحبها إلى الاجيال فى إطار الخلود

ولا يستطيع الانسان أن يفهم « مواعظ » هذا الكاتب إلا إذا درس حياته وعرف الحوادث التى اشترك فيها ، وتركت فى نفسه أثرا عميقا . وهذا السبب سيدعونا الى الاطالة والتفصيل . وسنقسم حياته إلى أدوار ثلاثة : دور الشاب الخيالى ، ودور الرجل الطموح ، ودور الشيخ الفيلسوف

### الشاب الخيالى

ولد فرنسوا السادس دوق دى لاروشفوكو بباريس ( شارع بتى شان ) فى ١٥ سبتمبر عام ١٦١٣ . وهو من أسرة عريقة لها تاريخ حربى مجيد ، وتملك ثروة طائلة فى (بواتو وانجوموا) ، ومقام آل روشفوكو يلى مباشرة مقام أمراء البيت الملكى . وقد كتب فى عام ١٦٤٨ إلى الوزير مازاران يقول : « أستطيع أن أقول وأثبت أن ملوك فرنسا منذ ثلاثمائة سنة يعاملوننا معاملة ذوى الرحم ، ولا يجدون فى ذلك عيبا ولا بأسا ، وهذا يدل على مبلغ اعتزازه بأسرته واعتداده بأرومته

ولما حان وقت تعلمه ، أخذ منه فى الريف قسطا ضئيلا ، إذ اتجهت عناية أهله إلى التمرينات الجسدية ليجعلوه من حملة السيف شأن أبناء النبلاء فى ذلك العصر . ثم زوجوه وهو فى الخامسة عشرة من عمره من فتاة ولدت فى حجر صالح ونشأت فى خير جزيل ، هى ( أندريه دى فيفون ) . وقد قال فى كبره : « يوجد زواج طيب ، ولكن لايوجد زواج عذب شهى » . ومالبث بعد زواجه أن اتبع هذا الرأى قبل أن يقوله ، وبحث خارج بيته عن ضروب اللذة التى لاتهيئها العيشة الزوجية . وتناهت أخباره إلى امرأته ، ولكنها صانت عفتها ، ولم يتألفها العبث من نفرتها . وأنجبت له أولادا ثمانية

ثم خاض أول معركة حربية فى إيطاليا وهو فى السادسة عشرة من عمره ، ولما عاد منها دخل البلاط الملكى . وكان الفن السائد

فيه كما قال فولتير ، هو تدبير الدسائس لقهر الوزير الكبير الكاردينال ريشليو . فاستدرج هذا الفن فرنسوا ودفعه إلى أحضان النبلاء الذين كانوا يثنون من سلطان الوزير ويأتمرون به فى كل حين . ورأى بعينيه سطوة الوزير وأنواع العذاب الذى ينزله بهؤلاء النبلاء ليخضعهم للقانون العام ، ولكنه لم يجبن ولم يرجع عن سبيله

وكان فى ذلك الوقت كثير الكبرياء ، طموحا بلا غرض معين ، حى الذهن ، دقيق الملاحظة ، خجولا كلفا بالخيال ، شديد الميل إلى مجالس النساء . وقد لازمه هذا الميل طيلة عمره . وعقب دخوله البلاط اتصل بأحب فتيات الملكة ( آن دوتريش ) إليها ، وهى الآنسة دى هوتفور التى يحبها الملك لويس الثالث عشر حبا أفلاطونيا . وهذه الصلة عبدت له الطريق إلى اكتساب ثقة الملكة البائسة المضطهدة من جراء الريبة فى نيتها وأغراضها . وقد سببت لهذه الثقة ضررا كبيرا ، كما ذكر فى مذكراته : « أسباب أتفه من هذه كانت كافية لأن تبهر نظر رجل لم يسير غور الحياة ، وتدفعه فى سبيل ضارة بمصلحته ، وقد جلب على هذا السلوك غضب الملك والكاردينال ريشليه ، وسلسلة طويلة من المحن أدخلت الاضطراب على حياتى »

وفى عام ١٦٣٣ سافر مختارا مع بعض شبان الطبقة العالية إلى محاربة الأسبان فى الفلاندر ، وأظهر فى ساحة القتال من ضروب البسالة والاقدام ما أثار الاعجاب . ولما عاد من الحرب ، أمر بمغادرة باريس والاقامة فى أملاك أبيه ، لأنه اتهم ظلما بأنه أفشى جميع مادار فى الموقعة . ولكنه أدرك ان الملك أصدر هذا الأمر انتقاما منه لصلته بالملكة والقهرمانة دى هوتفور

حرم عليه دخول الحاضرة أربعة أعوام . وهيأت له المصادفة التعسة أثناء ذلك مقابلة الدوقة دى شفريز ، شيطانة الدسيسة كما سماها سانت بيف ، وعقد أواصر الصداقة معها . وقد وصفها الكاردينال دى رتز (١) بأنها « كانت تحوك الدسائس ، لأنها جاءت فى عصر الخداع والختل . ثم اتصلت بالدوق بوكنجهام والكونت دى هولاندفدفعاها فى هذه السبيل ، فاستفادت لأنها كانت تفعل كل ما يسر حبيبها . وكانت دائمة الوفاء للغرام ، كثيرة التغير لموضوعه . وإنى لم أر إنسانا اقل اكتراثا للاخطار ، ولا امرأة أكثر احتقارا للواجب منها . ما عرفت فى حياتها غير واجب واحد : هو أن تحصل على إعجاب صاحبها بها »

وكان ريشليو قد أبعدها الى ( داميير ) حتى يقطع الصلة التى بينها وبين الملكة ؛ ولكنها كانت تأتى لزيارتها خفية ، وتمهدلها طريق الاجتماع بالدوق بوكنجهام الانجليزى فى حديقة اللوفر . وعرف ريشليو هذه الأخبار فأبعد الدوقة الى التورين ، وهناك قابلت لاروشفوكو ، واستطاعت بدهائها أن تستخدمه رسولا بينها وبين الملكة . ولم تقف عند هذا الحد ، بل نظمت مراسلة سرية خطرة بين ملكة فرنسا وملك أسبانيا . وعرف ذلك الوزير الساهر على مصلحة بلاده ، فأوعز إلى الملك ان يطلق زوجه ويخرجها من الأرض الفرنسية

ولما شعرت الملكة بعزم الكردينال ، استدعت لاروشفوكو وتقدمت إليه ان يسهل لها طريق الهرب إلى بروكسل . وهو يقول فى مذكراته عن هذه الحادثة : « لما وقعت فى هذا المأزق لم تجد وفيالها غيرى وقهرماتها الآنسة دى هوتفور ، فعرضت على أن أختطفهما وأذهب بهما الى بروكسل . وقد بعثت أخطار هذا العمل والصعاب التى تقوم فى وجه انفاذه سرورا كبيرا فى دخيلتى . كنت فى سن تحبب إلى الانسان أن يأتى أعمالا خارقة ذات دوى عظيم . ولم أجد عملا يرضى هذه السن أكثر من اختطاف ملكة من زوجها ، وفتاة من ملك يهواها »

ولكن ريشليو أحبط هذه الخطة ، وآلم الملكة جد الالم . وخافت الدوقة دى شفريز بطش الوزير فاعتزمت الهرب . وكانت تجيد ركوب الخيل ، فغادرت مدينة (تور) فى زى رجل ، ومعها خادمان وكان ذلك فى السادس من شهر سبتمبر عام ١٦٣٧ . ولما صارت على مسيرة فرسخ من (فرتى) التى التجأ اليها لاروشفوكو ، أرسلت اليه تقول إنها رجل من النبلاء اضطر إلى الهرب عقب مبارزة ، وتسأله أن يرسل اليها عربة مقفلة وبعض خدم . وما أن ألقى على الرسالة نظره حتى عرف خطها ، ولكنه لم يستطع الذهاب إليها لأن ضيوفه أرادوا أن يصحبوه . وأرسل اليها فى الحال ما طلبت ، فسارت آمنة حتى بلغت حدود أسبانيا . ثم أرسلت اليه جميع حليها

---

(١) ١٦١٣ ـ ١٦٧٩ . قسيس فرنسى مستهتر اشترك فى دسائس البلاط أيام الملك لويس الثالث عشر ، وانتبع ثبات الطرق حتى حصل على رتبة كاردينال ومنصب أسقف باريس . وسجنه عدوه مازاران فى الباستيل ، فهرب منه وهام على وجهه فى أنحاء أوربا وقتا طويلا . ولما استطاع العودة الى باريس عاش فيها عيشة الهدوء والعزلة . وخلد ذكره يرجع الى مذكراته المشهورة التى نشرت فى عام ١٧١٧ والتى دلت على علو كعبه فى الكتابة ودقة الملاحظة وسحر التصوير

وقيمتها ... و ٢٠٠ دينار راجية منه أن يقبلها منها هدية إذا قضت نحبها ، أو يردها إليها فى أحد الايام اذا قدر لها أن تعود إلى بلادها

وقد ذكر مسألة الحلى فى مذكراته للدلالة على الثقة التى يلهمها وفاؤه ، مع انه ينكر فى كتاب « مواعظه » الثقة النقية الخالصة ويقول : « ليس لنا أن نفخر با كتساب ثقة هى دائما مشوبة بالغرض » ، وذكر أمامه أحد أصدقائه جاك إسبريه (١) هذه الحادثة وقال يداعب صديقه فى شيخوخته : « مما يثير العجب أن يفخر انسان بأن أميرة لجأت اليه ووضعت بين يديه حياتها وحريتها ، مع أنها لم تفعل ذلك الا خشية الوقوع فى يد العدالة ، وأن يفخر بأن هذه الأميرة ائتمنته على حليها الثمينة وهى خارجة من وطنها ، مع انه لم تفعل ذلك الا فى سبيل مصلحتها الذاتية ، أى حرصا على مالها وخوفا عليه من السرقة فى الطريق ! » وهذا رد ساخر على كتاب لاروشفوكو الذى يرجع كل العواطف الانسانية الى مصدر واحد هو : المصلحة الذاتية أو الأثرة

ثم عرف ريشليو أن لاروشفوكو ساعد الدوقة على الهرب فاستقدمه اليه وأنبه . ولما رأى منه غلظة فى الاجابة على أسئلته ، أرسله الى سجن الباستيل ، ولكنه أمر مدير السجن بأن يتلطف فى معاملته ويسمح له بالاستراحة على الشرف كل يوم . وبعد مرور ثمانية أيام على سجنه ، أطلق سراحه فحمد الله على خروجه بعد هذه المدة الوجيزة فى عهد يحرص الباستيل فيه على حرفائه ، وأنساه شعوره برضى الملكة وقهرمانتها والدوقة عن عمله ، مرارة السجن وقسوته .

وعقيب ارتداد حربه أمر بمغادرة باريس والاقامة فى ( فرتى ) وهناك جاءه رسول من الدوقة وتسلم منه حليها ، وعاش فى ذلك الريف عامين هادئاً مطمئنا ، وأصبح بيته ملتقى النبلاء والعظماء . وقد ذكر هذا العهد فى مذكراته فقال « كنت شابا فى ذلك الوقت ، وكان الملك ووزيره يدنوان رويداً من القبر ، فرجوت أن أحصل على خير كثير بعد موتهما وتغير الحال . وكنت سعيداً فى اسرتى ، أحظى بكل مسرات الريف وأجتوى كثيراً من النبلاء الأغنياء المغضوب عليهم من الوزير ، لهم مثل أمانى وآمالى » . وهنا يظهر الرجل الطموح فى ثوب الشفيق على ملكة تعسة .

ولما دارت رحى الحرب فى (البلاد الواطئة) ، سمح له بالانضمام إلى الجيش بعد طول إلحاحه ، وأبلى بلاء حسنا فى موقعتى سان نيقولا وسان فينان . وعرض عليه ريشليو رتبة سامية مكافأة له على بسالته فرفض إذعانا لأمر الملكة ، إذ كان فى نيتها أن تجنبه قيد الوزير حتى يستطيع أن يسل سيفه فى وجهه لما تمكنها الظروف من إشهار عداوتها له .

يتبع

حسن صادق

(١) ١٦١١ — ١٦٧٨ . كاتب فرنسى مجيد كان معاصرا لدى لاروشوكو وصديقا له وانتخب عضوا فى مجمع الملا نعام ١٦٣٩ . وأشهر مؤلفاته كتاب عنوانه « شوائب الفضائل الانسانية » الذى يعتبر شرحا وتعقيبا لمواعظ لاروشفوكو

# ٣ — بين الموسيقى الشرقية والغربية

## بقلم مدحت عاصم

### الانغام

يضم جمعا من الخلان حفل يستمعون فيه الى مغنى عذب أو موسيقى شجية ، وقد ملكت اليابهم النغمة ، واستأثرت بمشاعرهم المثانى والمثالث ، ولا تتعدى معرفتهم باللحن أو المعزوفة عن أن اسمها كذا ، وأن مؤلفها هو فلان ، ولكن احدهم قد يهتف فى نشوة من الطرب « ما أحلى هذه الترجيعة ، البياتى ، أوما أجمل تلك الحركة ، السيكاه » ! : فينظر اليه رفقاؤه نظرة تقدير واعجاب ، ويعتدل هو فى جلسته مزهواً مستزيداً من اشاراته وايماماته ، كيف لا وقد وفق لسر من أسرار الانغام وسيرها ، وأطلع رفاقه على قدر علمه ومعرفته ! ولو عرف الرفاق أن القدرة على تعيين النغمة لمجرد سماعها ، إن أعوزها شيء من الخبرة بالمران ، فهى ليست من الخطر بالقدر الذى يتصورونه ، لاقتصدوا فى تقديرهم واعجابهم .

أما أنا ، فأذكر أنى وقعت فى صغرى الى جلسة ضمت جمعا من الوافدين فى ليلة من ليالى رمضان المكرم ، وقد اجتمعوا حول شيخ مقرىء يسمعهم طرفا من المولد ، وقد استولى عليهم الطرب الممزوج بالخشوع ، ولم يكد ينتهى حتى أسرعوا يكبرون ويمدحون الشيخ المقرىء وبراعته وصوته الحنون القوى . ثم تكلم أحدهم ، وكانت له عند الشيخ مكانة وله عليه دالة ، فطلب قصيدة « يانسيم الصبا » ، وأردف طلبه قائلا « والله ياسيدنا ، انى أحب نغمة الصبا هذه ، ولا أكاد أحبس الدمع عند سماعها » . فهمهم الشيخ ودمدم وأراد أن يرد الحق الى نصابه ويمنع الخطأ أن يروج فقال « يابنى هذه القصيدة من نغمة الحجاز » . وكأنه شعر بقدر الغيبة التى لحقت الطالب فاسرع بانشادها تعويضا له ، فكان هذا أول درس وعيته فى علم النغم ، وكنت بعدها كلما سمعت نغمة طبقتها على « يانسيم الصبا » ، فان وافقتها فهى حجاز ، وإن خالفتها فعلها عند القوم الراسخين فى العلم . ومن بعد « نسيم الصبا » عرفت أن مارش « عباس » من نغمة « النهاوند » وأن « ياطالع السعد » « رصد » ، وهكذا أصبحت أقيس كل ما أسمعه على ماعرفته ، وبذا أستطيع تعيين نوع النغمة .

غير أن علماء الانغام يرون أن ميزان الاذن قد لايعدل ، وأن هذه الطريقة الساذجة لاتصح أن تكون حجة علمية دقيقة يعتمدون عليها فى قوانينهم وأبحاثهم ، فهم لذلك يعمدون الى تحليل النغمات تحليلا صوتيا حسابيا ، ويفرقون بين درجات السلم الموسيقى بنسب مضبوطة ثابتة لايعتورها خلل ، ولا تعرض للاحداث والغير

وأرى هنا قبل أن أتحدث عن تقسيم النغم الشرقى والغربى أن أثبت التقاسيم العامة فى السلمين ليظهر جليا تركيب التقسيم فى السلم الشرقى وبساطته فى السلم الغربى .

١ — السلم الغربى ( من اليمين الى اليسار تنازليا )

دو — سى — لا ديز — لا — صول ديز — صول — فا ديز — فا — مى — ري ديز — ري — دو ديز — دو

والمسافة بين كل هذه الاقسام متساوية فى السلم المقرب Tempéré وهو المستعمل فى العالم الغربى الآن وتساوى نصف مسافة كاملة $\frac{1}{12}$

٢ — السلم الشرقى

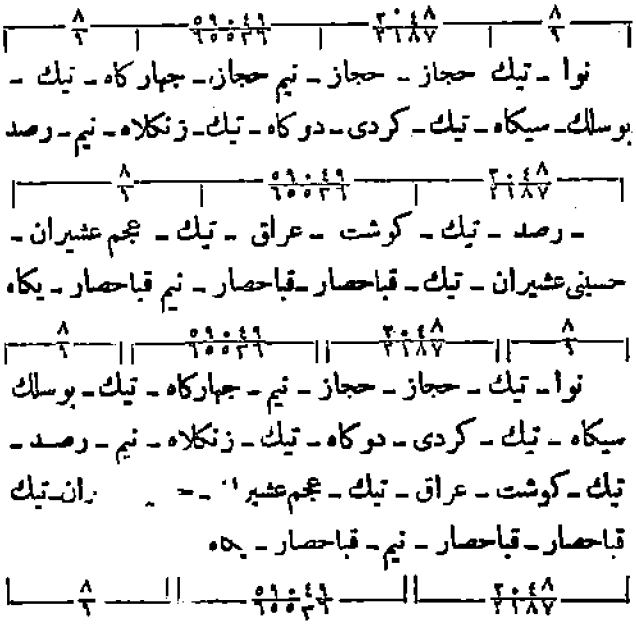

نوا — تيك حجاز — حجاز — نيم حجاز — جهاركاه — تيك — بوسلك — سيكاه — تيك — كردى — دوكاه — تيك — زنكلاه — نيم — رصد — رصد — تيك — كوشت — عراق — تيك — عجم عشيران — حسينى عشيران — تيك — قباحصار — قباحصار — نيم قباحصار — يكاه



نوا — تيك — حجاز — حجاز — نيم — جهاركاه — تيك — بوسلك — سيكاه — تيك — كردى — دوكاه — تيك — زنكلاه — نيم — رصد — تيك — كوشت — عراق — تيك — عجم عشير[illegible] — ران — تيك — قباحصار — قباحصار — نيم — قباحصار — يكاه



ويراعى فى تقسيم هذه المسافات ، النسب التى ذكرناها تحت باب السلم الموسيقى الشرقى فى عدد أسبق من الرسالة .

وقد رأى موسيقيو الغرب ان كل ما يستعملونه من الانغام ينحصر فى نوعين رئيسيين ، اطلقوا على احدهما اسم النغمة الكبرى Mode majeur والثانى اسم النغمة الصغرى Mode mineur وجعلوا الدرجة الاساسية للسلم الكبير Gamme majeur هى

دو والسلم الصغير لا . وينسبون اسم النغمة الاساسية فيقال نغمة دو الكبيرة Do Majéur ونغمة لا الصغرى La Mineur ولا باس من أن نوضح هنا نسب المسافات بين الدرجات فى سلمى النغمتين

النغمة الكبرى دو $\frac{٩}{٨}$ سى $\frac{١٠}{٩}$ لا $\frac{٩}{٨}$ صول $\frac{١٠}{٩}$ فا $\frac{١٦}{١٥}$ مى $\frac{٩}{٨}$ رى $\frac{٩}{٨}$ دو

النغمة الصغرى لا $\frac{٩}{٨}$ صول $\frac{١٠}{٩}$ فا $\frac{١٦}{١٥}$ مى $\frac{٩}{٨}$ رى $\frac{١٠}{٩}$ دو $\frac{٩}{٨}$ سى $\frac{٩}{٨}$ لا

وقد جعلوا شرطا فى كل لحن أن ينتهى بالدرجة الاساسية Tonique . ففى نغمة دو يجب أن تكون آخر درجة فى ختام اللحن هى دو وكذلك فى لا . كما أنهم أباحوا للملحن أن يختار أى درجة من درجات السلم الموسيقى لتكون درجة اساسية للحن مع مراعاة النسب المفروضة للنغمة المستعملة سواء أكانت الكبرى أم الصغرى ، ووجوب انتهاء اللحن بالدرجة الاساسية .

وقد رؤى بعد ذلك أن هناك نوعين من النغمة الصغرى احداهما تشابه النغمة فى صعودها هبوطها ، والأخرى يختلف السلم هبوطا عنه صعودا اذ يرى كون موقع الدرجة السادسة نصف مسافة فى الصعود ، وعند الهبوط تكون النسب بين الدرجات هى نفس نسب النغمة الكبرى وسميت النغمة الاولى بالصغرى المطربه Mineur Mélodique والثانية بالصغرى المتوافقة أو المتجانسة Min. Harmonique . كما فرضوا أن من الشروط اللازمة فى علم الانغام ان المسافة التى بين الدرجة السابعة والثامنة يجب ان يكون مقدارها نصف مسافة ، كاملة وسميت الدرجة السابعة فى السلم بالدرجة الحساسة Note Sensible — وان كنت لا ادرى مصدر هذه التسمية — واحسب ان علماء النغم انفسهم لا يستطيعون لذلك تفسيرا دقيقا .

هذا فى الموسيقى الغربية ، اما فى الموسيقى الشرقية فشد الله ازر المشتغلين بالانغام فيها ، ويسر لهم من امرها ماعسر ، فلا قاعدة عامة ، ولا نغمات معدودة محصورة يسهل على الفكر ادراكها وتحديدها . وانما هى نغمات تعد بالمئات ، ولكل نغمة قاعدتها الخاصة أو قل قواعدها فى ترتيب النسب لمسافاتها ودرجاتها . ولذا يستحيل علينا ان نجد عالما شرقيا ، مهما بلغ به العلم ، قد الم بكل هذه النغمات واحاط بها . وليس هذا يعنى ان كل النغمات فى الموسيقى الشرقية عسيرة المنال شاقة المنال ، بل ان فيها من الانغام مايستطيع الموسيقى العادى ان يلم بها بدون حاجة الى جهد او كبير عناء . بل إن من هذه النغمات مايجعل الموسيقى الغربية فى ياس قاتل لعدم بلوغها تلك المرتبة من دقة التقسيم وعذوبة التوقيع وحساسة الاذن

وفى الموسيقى الشرقية اختلاف عن بساطة التسمية للنغمات الغربية فقد قلنا فى النغمات ان النغمة الكبرى او الصغرى يصح ان تنتقلا على كل درجات السلم محتفظتين باسميهما مع نسبة اسم الدرجة التى تعتبر أساسية الى النغمة . اما فى الموسيقى الشرقية فلا يمكن حصر النغمات . ولنأخذ مثلا النغمات التى درجتها الاساسية الرصد ، وأولها نغمة الرصد ، ثم السوزناك والحجاز كار والنهاوند والنوا أثر والنكريز وطرزنوين والساز كار ، وهكذا الى حوالى الثلاثين نغمة . ، ولا يقتصر الامر على هذا . وينهج النهج الغربى عند اعتبار درجة اساسية اخرى غير الرصد للنغمة بل يزداد التعقيد ، فمثلا نغمة الحجاز كار ودرجتها الاساسية الرصد وسلمها الموسيقى كما يلى :

كردان $\frac{٢٠٤٨}{٢٠١٨٧}$ أوج حصار $\frac{٢٠٤٨}{٢٠١٨٧}$ نوا $\frac{٩}{٨}$ جهاركاه $\frac{٢٠٤٨}{٢٠١٨٧}$ سيكاه $\frac{٢٠٤٨}{٢٠١٨٧}$ زيركوله $\frac{٢٠٤٨}{٢٠١٨٧}$ رصد $\frac{٢٠٤٨}{٢٠١٨٧}$ $\times$ $\frac{٩}{٨}$

فلو اتخذنا درجة الدوكاه اساسا لهذه النغمة فان اسمها يتغير ويصبح مشهناز ، ولو اتخذنا نفس هذه النسب ايضا لدرجة اساسية هى الحسينى عشيران لتغير اسم النغمة وأصبح سوزول وباتخاذ درجة اساسية هى العراق يصبح اسم النغمة اوج آرا ، ويقول الراسخون فى علم الانغام الشرقية — ولسنا نعرض لقولهم الآن — ان هذا التركيب والتعقيد فى اختلاف اسماء الانغام وتنوعها مع تشابهها لهو عقدة فنية محبوكة ، والفخر كل الفخر لمن استطاع ان يلم من هذه الانغام باكثرها تقيدا واكثرها غرابة فى الاسم والتصوير ، ثم يعللون هذا أيضا بأن تلك الانغام وان تشابهت حقا فى ترتيب سلمها فان هناك اختلافا بسيطا فى سير النغم عند الصعود او الهبوط .

هذا أبسط مثل لنغمة واحدة فى انتقالها على ثلاث درجات مختلفة ، ولو اردنا ان نحصر عدد الانغام التى يمكن تكوينها على درجات السلم الشرقى وعددها اربع وعشرون . من النغمات التى درجتها الاساسية هى الرصد فقط لاحتجنا الى خبير حسابى ليستعين بعمليات التباديل على اجابتنا الى مارغب . ولما كان الغرض من هذا البحث هو التعرض بوجه عام الى الفروق الظاهرة بين الموسيقى الشرقية والموسيقى الغربية ، فانا نرجىء التكلم عن محاسن ومساوىء الموسيقى الشرقية الى أجل قريب .

مدحت عاصم

# العلوم

## ويسألونك عن الأهلة

للدكتور احمد زكى

— ٣ —

### سطح القمر

اذا اعتمدنا فى حكمنا على الأمم القديمة من مصرية وكلدانية وهندية وفارسية على المرقوم مما خلف التاريخ، واعتمدنا عليه وحده، خرجنا على أن هؤلاء القدماء وُفقوا الى دراسة مدار القمر دراسة دقيقة كشفت عن أهم الصفات الخاصة بهذا المدار، أما رأيهم فى القمر نفسه، ماجوهره وماذا عليه؟ فلم يصلنا عما قد كانوا علموه من ذلك شيء.

ومن أقدم ما نعرف فى هذا الصدد ما ارتآه العالم الاغريقى طاليس Thales (٦٤٠ - ٥٥٠ ق م) فقد ارتأى ان القمر ان كان أكثره من الشمس، فان بعضه يخرج بالاشعاع من القمر نفسه. ودلل على ذلك بأن الأجزاء المعتمة من الأقمار الجديدة والأهلة لا تُعتم كل الاعتام، بل يبقى فيها برغم حجابها عن الشمس بقية قليلة من ضياء تتبينها العين.

ومن القدماء الفلاسفة الفيثاغوريون علّموا أن القمر كرة بلورية ملساء ينعكس منها الضياء كما ينعكس على المرايا، وتتراءى فيها صور الأشياء كما تتراءى فى المرايا، فالمناطق التى تظهر على سطح القمر بيضاء ناصعة، أو سمراء داكنة، ليست الا صورة الكرة الارضية انعكست فيه بحارها وخلجانها، وجبالها ووديانها، وتابعهم فى ذلك أرسطو، فأظهر جهلا كجهلهم تاما بأبسط قواعد الضوء وانعكاساته، وبما لا شك كان معلوما فى هذا العصر من الحال التى عليها دار القمر. فهذه القواعد الضوئية والمعلوم من المدارات القمرية لا يمكن أن يؤلف بينها العقل العادى — بله عقل أرسطو — وبين أن القمر يُرينا دائما وجها واحداً وصورة واحدة لا تتغير. فلو أنها كانت صورتنا تنعكس الينا لتغيرت حتما باختلاف أوضاعنا وأوضاعه

وسبق هذه الآراء وتخللها وتبعها آراء أخرى للاقدمين كثيرة، كان من الطبيعى أن تحظى من الخيالى بحظ أكبر من الحقيقة لعجز العين الانسانية عن استبضاح ماهنالك

ثم جاء جاليليو، وفى مايو عام ١٦٠٦ م وجّه الى القمر أول منظار صنعه، فعلم من تلك النظرات الأولى أن لاملاسة فى سطح القمر، وأنه سطح خشن فيه خروج وفيه دخول، وفيه تكسّر وفيه انحناء والتواء. ثم تهيأ له منظاره الأكبر فخرّره اليه، فرأى لأول مرة جبال القمر تمتد فى سلاسل كلاسل الأرض، تدور على الأغلب فى حلق يضيق ويتسع. ورأى على حافة الاهلة الداخلة نقطا لامعة فى بقع سوداء، عرف أنها قمم الجبال، تالتها وحدها الشمسُ فأضاءت، بينما الوديان المحدقة بها فى ظلام بهيم، وتتبع ظلال تلك الجبال القمرية فوجدها تطول وتقصر، كما تطول وتقصر الجبال الارضية بشروق الشمس عليها وغروبها عنها. انما الذى حيّره ان جبال القمر ووديانه كانت تنير بغتة، وتظلم بغتة. كانت تعرف البياض الخالص والسواد الخالص، وتجهل مابين هذين الطرفين من درجات،

بينما جبال الأرض لا تكاد تنالها الشمس حتى يصيب الوديان

من نورها نصيبٌ ولو ضئيلا . حيرةٌ احتارها جاليليو من تلك الحيرات الغوالى التى كثيرا ما تنكشف عن حقيقة غالية ، حيرة نعرف الآن انها كانت أول دليل على أن القمر لا جو له ولا هواء يلفه كهوائنا ، فان هذا الجو الارضى ، وهواء دنيانا هذا الذى نعيش فيه ، يكسر أشعة الشمس إذ تمر فيه فينشرها وينال بها فيما ينال مواقع تلك الظلال التى لولاه لكانت سوداء كالليل ، وظلماء كالظلال على القمر

واستخدم جاليليو أطوال تلك الظلال فى تقدير أطوال الجبال وخرج من ذلك على نتائج وارتأى أول من رأى فوهات القمر ، وهى جبال كالبراكين الارضية تتقور قممها كالجفان ، شبّهها كما تراءت له بالعيون على ذيل الطاووس

ورسم جاليليو خريطة للقمر تحكم له بالحذق وتقضى له بالمقدرة ، اذا ذكرنا ان منظاره لم يكبّر أكثر من ثلاثين ضعفا ، ولكن فاق خريطته فى الاتقان وسبقها فى التفصيل ما تلاها من خرائط الباحثين ، فاصبحت هى ولا قيمة لها الا المتعة بالقديم .

تبع جاليليو رجال نذكر منهم هفيليوس Hevelius وريكسيولى Riccioli وكسينى Cassini وشروطر Schröter ولوهرمان Lohrman وبير Beer ومدلر Mödler ووب Webb وشمت Schmidt ، بحثوا القمر ، فزادوا فى قوة المنظار ، وأكثروا من رؤية التفاصيل ، ودوّنوها على الورق تارة وعلى المعدن تارة أخرى ، وبذلوا فى ذلك مجهودات كبيرة ، وصبروا وصابروا على المشقات الكثيرة ، لاسيما مشقة العين وجهد البصر وألم التحديق

واتصف القرن الثامن فقكر القوم فى استخدام الفوتوغرافيا فى تصوير الاقمار والنجوم فكانت فتحا جديدا .

يتبع

أحمد زكى

## ملاحظة : وقع فى المقال السابق من العدد الماضى الأخطاء المطبعية الآتية :—

| صحيفة | سطر | خطأ | صواب |
|---|---|---|---|
| ٧٥١ | ١٧ (النهر الاول) | والمحيط العاصف : | والمحيط العاصف Oceanus procellarum |
| ٧٥١ | ١٩ (النهر الثانى) | العالما | العالمان |
| ٧٥٢ | ٦ (النهر الاول) | دار بمنطاده | دار بمنظاره |
| ٧٥٢ | ٦ (النهر الثانى) | Hoar | Hoax |


شفاء البول السكرى

بنباتات مصرية يأكلها كل الناس

وفقنى بازدة الله تعالى فقمت بعد المؤلفات العربية القديمة بابجاد دوا يشفى البول السكرى شفاء تاما والذى يحتوى على بذور النباتات المصرية وهى لا يحرم منها كل مريض جعلنا الله العلة وقرة عين صباح

ارسل بالبريد شيك بالثمن يصلك الدواء وبه كيفية الاستعمال

محل عطارة محمد طاهر الصاوى

بوكالة ابو زيد رقمه بالمحزاوى بمصر

# ٦ ـ فى البحوث الروحية

للأستاذ عبد المغنى على حسين

عن جامعة برمنجهام

ما هو النوم ؟ ثقل يداعب الرأس ، ثم تطبق الاجفان ، وينعدم الحس ، وتهدأ حركة القلب ، ويبطىء التنفس ويكون عميقا ، وتهبط حرارة الجسم شيئا قليلا . أما المخ فيتوقف جزء منه عن العمل ، فيغيب ما يسمى بالعقل الواعى ، وينفرد بالامر العقل الباطن . والاحلام أكثرها أحاديث ، تغزو جسم النائم من خارجه ، أو تتولد فى داخله ، فتبرق بها الاعصاب الى العقل الباطن ، فيقرؤها بلغة قصصية رمزية ، ويأخذ من سالف الذكريات ، وكامن المخاوف والرغبات ، فيكمل الاقاصيص ، ويحوك أطرافها . فى الاحلام شواذ ، ولكن أكثرها من هذا النوع

هذا هو النوم الطبيعى ، هدنة يتناولها العقل الواعى . وهناك نوم اصطناعى ، هو المعروف بالنوم المغنطيسى ، ظاهرة اكتشفها فى القرن الثامن عشر طبيب ألمانى يسمى مزمر Mesmer ، وبا كتشافها انفتحت للاحتمال سرب جديدة ، أتاها الدجاجلة يهرعون ، من كل موفور الذكاء ، منقوص الخلق ، فأساءوا إلى العلم ، وفوتوا على الانسانية النفع ، وفجع الرجل فى اكتشافه ، وساءت سمعته ، وقضى على أساليه . ولكن لما كان الشىء الحقيق لا ينعدم ، عاد العلم فى أواخر القرن التاسع عشر فتناول الظاهرة المزمرية بالدرس من جديد .

فى النوم المغنطيسى لا يغيب العقل الواعى من تلقاء نفسه ، بل بتأثير ضغط يقع عليه من عقل آخر . فاذا نظر المنوم فى عينى القابل للنوم ، أحس هذا بعد حين بثقل فى الجفون ، ثم يغمض ، ويفقد الحس ، وتسترخى عضلاته ، ويقع فى سبات يختلف عن النوم الطبيعى فيما يأتى :—

١ — لا يكون العقل الباطن مرا مستقلا كما فى النوم الطبيعى بل يكون عبدا طائعا للشخص المؤثر ، يأتمر بجميع أوامره ، ويتلقى منه كل فكرة كما با تنزيل . ويمكن تشبيه الجسم فى النوم الطبيعى بمملكة غاب مليكها باختيارة ، وترك آلة الحكومة تدير نفسها ، على أن يعود اذا استدعت الحال ، أما فى النوم المزمرى فقد قهر الملك ، وكل عنوة بالاصفاد ، فطبيعى أن تقع حكومته لعبة فى يد القاهر . هذا تشبيه فقط ، والذى يحدث على أى حال هو أن المتاثر يصبح للمؤثر أطوع من بنانه .

٢ — لا يستيقظ المتأثر من سباته إلا بأمر من المؤثر ، ولا يستيقظ من تلقاء نفسه ولو قطع اربا .

كيف يحدث هذا التأثير المزمرى ؟ لا نعرف الآن علة حدوثه على التحقيق ، وخير ما يقال فى ذلك هو أن الفكرة القوية تثير أمواجا كهرطيسية حادة تنتقل فى الأثير ، وان المؤثر عندما يحدق فى المتأثر يصليه من هذه الموجات شواظا ينصب على مراكز الوعى فى مخه فتخدر . وقد استجدت بحوث تجريبية تشهد لهذا الفرض إلى حد ما ، من ذلك ما أذاعه منذ شهور البروفسور فرديناند كازيمالى أستاذ الامراض العصبية بجامعة ميلانو ، من أن موجا كهرطيسيا يتشعع من الجسم البشرى عند اضطراب النفس ، وأنه استقبل هذا الموج بآلة سينمية ، فوجده مما يؤثر فى الاشرطة الحساسة .

مهما تكن العلة فالنوم المغنطيسى حقيقة واقعة ، وهو أداة خطرة اذا أريد منه الشر والعبث ، كما أنه نافع فى علاج العادات الذميمة ، وشفاء أمراض عصبية ليس سببها تلفا ماديا فى الاعصاب .

هذان ظرفان يغيب فيهما العقل الواعى — ظرف النوم الطبيعى ، وظرف النوم المزمرى — ونود أن نتحدث عن ظرف ثالث . من الناس من تطرأ عليه حال عصبية ، فتعتريه تشنجات ، ثم يفقد الحس ، ويبدو كأن عقليته تغيرت ، فيأتى من الاقوال والافعال ما ليس من عادته ، كان يدلى برغبات لم يكن يبوح بها ، أو يوجه عنيف الكلام الى أهله ومن هم موضع احترامه ، ويحتج على إهانات تافهة لحقته ولا يكاد يذكرها أحد ، ثم ينتفض فيعود إلى نفسه ، ويدور بعينيه فيما حوله ومن حوله ، لا يدرى ما حدث ، ولا يذكر حرفا مما قيل .

تشاهد هذه الظاهرة ، وتفسيرها سهل ، لأن كل ما يلفظ المريض من قول لا يتدرى سابق اختياراته ، والطبيعى من رغباته ، فالمسالة إذن ثورة داخلية ، يتغلب فيها العقل الباطن على العقل الواعى ، ويحكم برهة حكم طيش واضطراب ، ثم يهبط ثانية الى مستقره ، ويعود العقل الواعى من غيبته . هذه الظاهرة مرض عصبى ، يضمه الطب الى أنواع الهستريا ، وسببه رعب أصاب

الشخص فى طفولته أو نحو ذلك ، فاختل التوازن بين قوى أعصابه ، وغدا عقله الواعى مزعزع السلطان .

تلك حالات ثلاث يغيب فيها العقل الواعى . ولكن الحال الثالثة ( الهستريا ) ليست من البساطة كما ذكرنا . فمن هذا النوع أمثلة نادرة وعجيبة . أمثلة لا تدخل فى الحقيقة فى اختصاص الطب ، لأن صاحبها لا يشكو مرضا ، تأتيه النوبات من غير ألم ، ويتحدث اليك فى ذهوله حديثا هادئا متزنا من غير انفعال ، زاعما انه شخص آخر غير نفسه ، قد يكون امرأة فتنتحل فى ذهولها شخصية رجل ، أو العكس ، وقد يكون صغيرا فيحدثك حديث الكبير أو العكس ، فاذا عاد الى نفسه لم يتذكر شيئا مما كان ، واذا عاودته النوبة برزت شخصيته الثانية بذاكرتها الخاصة ، وخبرتها الخاصة ، وحكمها الخاص على الأمور ، وأذواقها وميولها الخاصة ، وتبدأ حديثها معك من حيث انتهيتما فى المقابلة السابقة ، وبالاختصار تشعر انك تعاشر شخصين مستقلين أحدهما أساسى والآخر يأتى فى الفينة بعد الفينة .

هذه الحال يعرفها علماء النفس ، ويسمونها الشخصية المزدوجة Dual Personality . ويصح ان يتكلفها البعض لغاية فى النفس ولاسيما اذا كان من وراثها كسب ، ولكن اذا شوهدت فى أسرة لا تجربها ، كما هو حال اللادى كوتان دويل ارملة سير ارثر كوتان دويل المؤلف الانجليزى المعروف والباحث الروحى الكبير ، فالدجل غالبا لا محل له ، وقد خبرت هذه الحال فى فتاة كانت فى سن لا تعرف التكلف الى هذا الحد ، وما كان لها فيه مارب . أما الشخص الذى يرزق هذه الخاصة فسوء الظن به واجب ، وامتحانه يتحتم . ومن وسائل امتحانه ان تأتيه من الخلف على حين غرة وتغرز فى جسمه إبرة ، فان كان متكلفا فسيفزع من غير شك مهما كان جلدا . وقد وجد الباحثون أن من هؤلاء الناس من تضربه الأبرة من الخلف مفاجأة ( بمعرفة طبيب ) وهو ماض كأن شيئا لم يحدث ، فهو فى ذهول حقيقى .

ولما كان جمهور الناس يعجز عن التفريق بين الحقيقة والدجل ، فالارتزاق بهذه الخاصة ومثلها يؤدى إلى فوضى ومآس خلقية ، وتحريمه واجب من غير شك .

ما تعليل هذه الظاهرة العجيبة ، ظاهرة الشخصية المزدوجة ؟ ليس لدى علماء النفس تعليل لها ، ومن يتصد لتعليلها منهم يستعر لها علة الهستريا ، ويعتبرها تبادلا للسلطة بين العقلين الواعى والباطن ، ولكن فى سلم وهدوء . أما اتزان الشخص فى ذهوله ، واكتمال شخصيته الثانية ، وما قد تتم عنه أحيانا من سمو وسعة علم وتهذيب يفوق بكثير مستوى الشخص الأصلى ، فيعزونه الى أن العقل الباطن بحر لم يعرف بعد مداه ، ولا ما قد يحوى من علم وخلق كامنين ، اتياه من طريق الوراثة ، أو تجمعاتيه بطريق التلبانى

سر اليفر لدج

ولكن عددا من الباحثين الذين انقطعوا لدراسة مثل هذه الظاهرة يذهبون إلى تفسير آخر ، وهو أن الشخصية الثانية روح مستقلة عن الشخص الأصلى ، تستطيع بكيفية تشبه التأثير المزمرى أن تنيمه ، وتتسلط على عقله الباطن ، فيكون أداة اتصال بينها وبيننا ويزعمون أنه بهذه الوسيلة يمكن وأمكن التخاطب مع أرواح الموتى . فما يسميه علماء النفس بالشخصية المزدوجة يعتبره هؤلاء الباحثون نوعا من الوساطة الروحية ، ويسمونه وساطة الذهول Trance Mediumship .

يتضح مما سبق أن الخلاف على تعليل هذه الظاهرة العجيبة كبير ، وأن الباحثين حيالها شيع ثلاث .

فهناك المطمئنون إلى تركها شاغرة من غير تعليل ، لفرط غموضها ولكن ليست هذه بالروح العلمية ، إذ الواقع أن تعليلا خاطئا خير من لا تعليل ، فهو يفتح باب البحث على الأقل ، ويقود يوما ما الى التعليل الصحيح .

وهناك الذين يعزونها إلى العقل الباطن ، وهو رأى يستمد قوته من المحافظة على المذهب المادى ، وتلافى كل افتراض روحى وفيما عدا ذلك لا يوجد ما يؤيده .

وهناك القائلون بالفرض الروحى ، وهؤلاء يبنون أقوالهم على درس وتجريب طوال نصف قرن أو يزيد ، وفيهم رجال يزنون القول ويقدرون المسئولية ، مثل سر أليفر لدج ، فنفى أقوالهم ليس باليسير ، سيما إذا كان النفى من غير اختبار ؟

عبد المغنى على حسين

# القصص

## ٦ — شـــهر بالغردقة

### تتمـــة

للاستاذ الدمرداش محمد

مدير ادارة السجلات والامتحانات بوزارة المعارف

### عند جبل الشايب

كان من عادتى فى أثناء الاقامة بالغردقة أن أقف ساعة فى الصباح ومثلها فى الاصيل امام نافذة الاستراحه اشاهد منها جبل الشايب لامتع النظر بجمال لا يراه عادة فى جبال وادى النيل ، وكان منظر القمة وهى جاثمة فوق هامات الجبال فى جلال وروعة ومن حولها قمم جبال أم عنبه ، وعتلم ، وكحيلة وغيرها ، كأنها الصغار حول الاب الجبار يوحى الى النفس بشعور الكبرياء والعظمة . وجبل الشايب لا يبعد عن

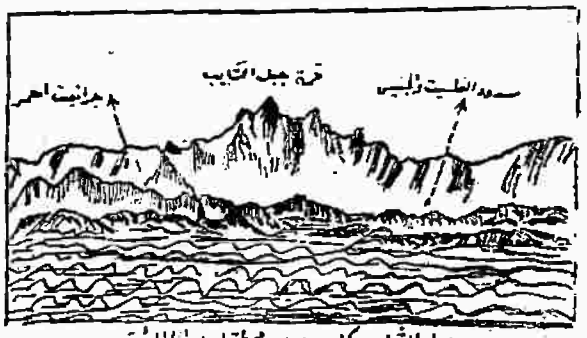


جبل الشايب كما يبدو من محطة الاحياء المائية

محطة الاحياء المائية كثيراً ، فالمسافة بينهما ٤٥ كيلومتراً تقطعها السيارة فى نحو الساعتين فى طريق ممهدة ، وقد ذهبنا اليه يوم الجمعة ٢١ يوليه فى ثلاث سيارات تحمل احداها الخيام والزاد — كان اليوم زاكد الهواء شديد الحرارة ، فنصبنا الخيام فوق ربوة على سطح أم دلفة أ[illegible] جبل الشايب بالقرب من بئر أم دلفة ، والبئر عبارة عن حوض فى جدار الجبل تظلله الصخور ، وينضح اليه الماء من شقوق وعيون فى الصخر ، فاذا فاض الحوض تدفق ماؤه الى فجوة أسفله ، ومن الحوض يستقى الاعراب ، ومن الفجوة تشرب الابل والمواشى . والوادى حـــول البئر كثير العشب وافر الكلأ ، تظلله الاشجار وتســـبح فى جوه الطيور والعصافير

وبعد راحة قصيرة حاولت وبعض الرفاق التسلق الى قمة أم دلفة ، ولكن صعوبة المرتقى وحرارة الشمس جعلتا الصعود شاقا منهكا فاكتفينا بمرحلة متوسطة ، وعدنا أدراجنا ، وفى العودة التقيت عند البئر بشاب من سكان المنطقة وهو من عرب معاذة ، أسود البشرة ناحل الجسم ، دقيق العظم ، وكان معه جمل يحمله بقرب الماء : فقلت له يا أخا العرب : هل من وسيلة الى قمة الشايب فقال : ان الطريق اليها طويلة شاقة ، كثيرة الالتواء والعقبات لا يعرفها الا نفر قليل منا فلا تطمع فى الوصول اليها وحدك ، ثم إن الصعود اليها يستغرق يوما كاملا ومثله للنزول . فقلت كيف ذلك؟ فقال هكذا يقول من صعد واليها — ثم سألته عن حال البادية فأجاب ، كرب وشدة ، فانحباس المطر احدى عشرة سنة متعاقبات أجدب الوديان حتى كادت تعرى من الأخضر واليابس ، وغاض ماء الآبار وجف كثير من العيون ، وتفرقت البيوت فقوم منا لحقوا بوادى النيل ، وآخرون أوغلوا صوب الشمال ، وبقية بدا لها أن تتشبث بوطنها مثوى الآباء والأجداد ، برغم ما تعانيه من شظف العيش وما تلقاه من حرمان . يعملون هكذا فرارا من معرة الهجرة وهوان الارتحال . فقلت : وما بدا ذلك فقال ، سنبقى هنا بالتوكيد حتى يقضى الله أمره فينا . ثم أطرق برأسه وهو يقول فرج الله لا بد قريب ، فقلت صدقت يا أخى ، اصبر فان الله لا ينسى عباده ، فعلت وجهـــه ابتسامة اطمئنان ويقين . وبعد حديث طويل عن الجبال وأسمائها ومسالكها والعيون وأما كنها سألته عن حيوانات المنطقة . فأتانا فقال ، يعيش هنا

الغزال والتيتل والثعلب والارنب والخروف الوحشي ، والاخير كان كثيرا ، ولكنه رحل عنا منذ أجدبت الوديان . وعندنا من الطيور العصافير والغراب والصقر وغيرها ، ومن الحشرات الثعابين والعقارب والزنابير والخنافس والذباب والنحل وغيرها ، ومن النباتات الشيح والسيال ( السنط ) والثمام واليسر والقطة ( ذات رائحة شديدة كريهة ) والحرجل ( يستعمل دواء للنفس ) والحنيات والمرغادة والأراك وغيرها

قلت ، وهل تستفيدون من هذه النباتات ، فقال نعم ؟ فلكل نبات فائدة نعرفها . ثم اننا نجمع الشيح ونبات المسواك وحب اليسر ، ونبيعها في قنا ، ومن خشب الطرفا ، وهي شجرة الاثل نصنع الفحم وقد كانت له سوق رائجة ، ولكن الطلب عليه الآن قليل . ثم قال اننا قوم ذوو همة نتاجر في الاغنام والابل ، وننقل التجارة على الجمال من قنا الى القردقة ، ونستخرج بعض المعادن من الجبال ونبيعها في السويس ، وهكذا ، فاذا كانت المراعي قد أجدبت فان نشاطنا لم يضعف وعزيمتنا لم تفتر

وجبال الشايب وما حولها تبدو من القردقة متلاصقة وقممها متجاورة الا أنها في الحقيقة متباعدة تخترقها الوديان والسهول وتشقها مجاري السيول في كل صوب . وعند الاصيل انطلق الهواء واعتدل الجو فتفرقنا بين الجبال وأخذ بعضنا يتبارى في الرماية بالبنادق واصابة الهدف ، وقبيل الغروب عدنا بسلام

## من القردقة الى قنا

قضينا الاسبوع الأخير من اقامتنا في القردقة في إعداد الصناديق وحقائب السفر استعداداً للعودة . وكانت الأيام تمر سراعا ، ويوم الرحيل يدنو مسرعا ، وقد أشفقت أن نعود من غير أن أتمكن من الذهاب الى قنا عن طريق الجبل ، ولكن تهيأت الفرصة قبل الرحيل بأيام قلائل فحمدت الله على توفيقه .

وطريق الجبل الى قنا طويل شاق تقطعه السيارات عادة في ثلاث مراحل : الأولى من البحر الى مدخل الجبال وطولها نحو ٤٠ كيلومتراً ، وهي عبارة عن ساحل كثير الحزون والتلال ، والمرحلة الثانية منطقة الجبال نفسها وطولها ٧٠ كيلو متراً . والمرحلة الثالثة من باب مخيتق الى قنا في وادي قنا العظيم وطولها مائة كيلو متر

وتشتد الحرارة صيفاً في الطريق أثناء النهار لدرجة لا تطاق

فكان لابد لنا من القيام من القردقة ليلا : ففي الساعة الثالثة صباحا كانت تسير بنا السيارات نحو الجبال في طريق صاعدة كثيرة العقبات . وكان الظلام حالكا ، والسكون رهيبا شاملا ، وهواء الليل بارد أمنعشا ونحن جلوس في صمت عميق ، شاخصة أبصارنا نحو مقدم السيارة تتابع ضوءها الكشاف وهو يجلو أمامها الطريق ، والسيارة تجاهد مندفعة بسرعة أربعين ، والسواق رزين قد استجمع كل حواسه في عينيه ، وكل قوته في يديه وقدميه ، يقودها باهتمام وحذر ، يتلمس الطريق في جوف الليل بمهارة وحذق نادرين — مرت علينا هكذا ساعتان ثم لاحت تباشير الفجر وقد دخلنا منطقة السدود ، فكان الطريق بيننا خطرا يتلوى في ضيق وانفراج ، ثم بزغت الشمس على القمم والروابي فكان منظرا بديعا حقا : فجبال شامخات قائمات في استقامة كالجدار ، تعلوها هامات كالسهام تناطح السحاب ، وقد بدت اطرافها في بوادر الشفق حمراء قانية كأنها تتوقد في أتون من نار ، والجبال من تحتها والثنايا والحنايا من حولها في لون ازرق داكن كأنها الدخان الكثيف — ثم علت الشمس . واصفرت الاشعة فبدت القمم كأنها اهرام من ذهب فوق قواعد من رصاص ، واخيرا انفسح

الظلام واشرق النور فتوارى جمال السحر لينجلى جمال الطبيعة فى حلة الصباح، فكان أشد فتنة وابلغ اثرا — كناحيتنا نسير فى وادى ( بلى ) وعن يميننا جبل الدخان ( ١٨٠٠ متر ) وعن يسارنا جبل القطار والوادى بينهما ضيق عميق يخترق الجبال من الشرق الى الغرب ، وهو كثير العشب والاشجار ، وقد أقام الرومان على مدخله من جهة البحر قلعة للحراسة ، وهى الآن انقاض لم يبق من معالمها الا الجدران - ويتفرع من وادى بلى عند وسطه وادى البديع ، وهو يخترق جبل الدخان وينتهى عند بئر البديع حيث توجد مناجم الحجر السماقى الامبراطورى ، وهو حجر جرانيتى دقيق الحبيبات لونه احمر قاتم قد صنعت منه طائفة كبيرة من أجمل التماثيل فى العصر القديم ، ولا يزال بوادى البديع آثار رومانية قديمة من مبان واستحكامات وطرق — ويتطرق وادى بلى الى وادى القطار وهو كسابقه فيه العشب وفيه الشجر ، وعند الكيلو متر ٦٥ تقوم استراحة بوليس مصلحة الحدود على راية بجانب الطريق ، وبالقرب منها بئر الاميرفاروق وماؤها عذب غزير ، ويخرج من وادى القطار عند الاستراحة طريق يؤدى الى سطح جبل القطار حيث مناجم المرو لبدات . وهى لشركة طليانية بقيت تستغلها سنوات طويلة ، ولكنها منذ سنتين توقفت عن العمل وصرفت العمال ، ولم يبق بمركزها سوى المهندس وهو شيخ طليانى طابت له الاقامة ففضل البقاء وحده وسط هذه الجبال - فتأمل - وبلى والقطار من اجمل الوديان والطريق فيهما مرسوم يحاذى الجبال فى تعاريج كثيرة بين صعود وهبوط ، والجبال هنا موحشة جدا تحمل فى طياتها وعلى جدرانها طوابع العصور الطويلة التى تعاقبت ، والكوارث التى نزلت بها تفتت وتهشيم وتصدع وانكسار وانثناء وتعرية

وصلنا ممر محيق قبيل الساعة السابعة ، ثم نحدرنا منه الى وادى قنا ، وهنا تغيرت معالم الطريق وطبيعة الجبال ، فاصبح الوادى أكثر اتساعا والجبال أقل ارتفاعا ، واختفت الجبال القديمة وظهرت هضاب الجبال الكلسية التى تمتد الى وادى النيل — وبعد أن مررنا بجبل (نجع الطير) ثم بجبل (ابو حد) وطاية الحيط ، وصلنا بير (عراس) وهنا زاد الوادى انفراجا وانبساطا ، وفى منتصف الساعة التاسعة وصلنا قنا ونزلنا ضيوفا على نقطة بوليس مصلحة الحدود

ولوادى قنا شهرة قديمة ، فقد كان طريق المصريين والرومان والعرب الى محاجر الجرانيت ومناجم المعادن وشواطىء البحر الاحمر ، ولوقوعه فى سفوح الجبال العالية فانه يترع بالماء وقت الامطار الغزيرة ، وتفيض منه سيول جارفة تصب فى النيل عند قنا وتجلب معها كميات عظيمة من طمى ناعم يعرف ( بالحيب ) يصنع منه الفخار القناوى المشهور - واخترق وادى قنا امنية قديمة تعلقت بها منذ كنت ناظرا لمدرسة قنا فى سنة ١٩٢٣ وقد حاولت وقتها فى مرة ان امشى فيه يوما كاملا ، ولكن ضللت الطريق السوى لتشابه المسالك وجهل الدليل ، وبعد ان اقمنا بقنا ليلتين ويوما برحناها بعد نصف الليل بساعتين عائدين فى نفس الطريق فوصلنا الغردقة بعد شروق الشمس بقليل . وبعد يومين ودعنا الغردقة ومن فيها وابحرنا عائدين الى السويس ثم الى القاهرة

وأختم هذه الرحلة بتقديم خالص الشكر لحضرات - الدكتور كرسلاند مدير المحطة ، ومحمد بك حبيب مفتش منطقة البحر الاحمر ، وسيد افندى الحلاوى مساعده ، والدكتور محمود ابو زيد مفتش المناجم ، لما بذلوه عن طيبة خاطر من مجهود عظيم فى سبيل راحتنا ومساعدتنا ، ويلهج كذلك لسانى بالشكر الوافى لصديقى العالم الكبير الدكتور محمد عبد الخالق بك لما خصنى به من جميل العناية والرعاية ؟

الدمرداش محمد

---


## شفاء البول السكرى

بنباتات مصرية — للسيدات والرجال

يتشرف مجلنا المؤسس فى سنة ١٩٨١ بالفات نظر الجمهور الى انه يوجد بالمحل دواء مركب من جملة نباتات خاصة لشفاء البول السكرى سواء أكان السكر فى البول فقط أو فى البول والدم معا ( أرفق بطلبك اذن بوستة قيمة ١٠ قروش صاغ يصلك طلبك وطريقة استعماله حالا

ابراهيم ابراهيم شافعى

بوكالة أبو زيد بالحزاوى بمصر تليفون ٤٥٤٧٩

في الكتب

# جولة في ربوع الشرق الأدنى

اذا تمثلت الأستاذ ثابت ، فلست أتمثل واحدا من الرجال وكفى ، وإنما أتخيل طريقة بأسرها من طرائق العيش ، وأسلوباً شاملا في فلسفة الحياة ، أخذ يتبلور ويتركز ، حتى تجسد في أستاذنا ثابت ، فمن الناس من يقضي حياته التي كتب له أن يحياها على ظهر الأرض ، في بلد واحد ، بل في دار واحدة ، بل في مكان بعينه من الدار . وأجرأ ما يطرأ على حياتهم الضئيلة الآسنة من ارتحال ، انتقال من غرفة في الدار الى غرفة أخرى كما يقول جولدسمث

وهذا رحالتنا ثابت أراد ان يحيا ! هوذا قد وازن بين حركة الحياة وجمود الموت ، وازن بين الأيام تدور ، وتدور حول صورة بعينها آسنة راكدة ، وبينها تزخر بأسباب الحياة ، فلم يتردد في الاختيار .. وأخذ يضرب في مناكب الأرض ، يجوس انحاء اوربا ويخرج للناس وصفا لجولته في ربوعها ، ثم يجوس في أنحاء آسيا ويذيع في الناس وصفا لجولته في ربوعها ، ثم يجوس في أنحاء أفريقيا وينشر بين الناس وصفا لجولته في ربوعها ، وهاهوذا في الصيف الماضي ، قد جال في أرجاء الشرق الأدنى وأخرج للناس هذه الجولة الجديدة ، التي نحن بصددها

وان كان القراء قد أمتعهم ما طالعوه من مشاهدات رحالتهم في اوربا وآسيا وافريقيا ، فكم تمتعهم قراءة هذه الرحلة الاخيرة التي لم تكن بين أقوام من غرب بعيد ، تربطنا واياهم صلات مهما تكن - فهي على شيء من الضعف والوهن ، ولم تكن بين أقوام من شرق أقصى لا تكاد تصلنا بهم الا روابط الانسانية الواحدة والعصر الواحد ، وانما هي رحلة بين شعوب توشجت بيننا وبينها أواصر من الرحم والقربى هيهات أن تقوى على فصمها الأيام ، وهي كما يقول الأستاذ المؤلف حقا في المقدمة « أقطار تربطنا بها روابط وثقتها أواصر التاريخ والاجتماع والدين . وزادتها رسوخا صلة رحم قديمة واخلاص عهد وعطف متبادل تذكي ناره رغبة مشتركة في النهوض ، وطموح متأجج للخلاص بأوطان مهددة ظلت ولا تزال تئن تحت أخطاء أبنائها وهم الطامعين فيها »

قرأت كتاب الاستاذ ثابت ، فكنت أتابعه في رحلته بلدا بعد بلد ، وقطرا في أثر قطر ، جبت معه - على حسابه - فلسطين وسوريا وتركيا والعراق وفارس وافغانستان ؛ وكنت أقف معه هذه الوقفات التي تطول حينا وتقصر حينا ؛ أمام روائع الآثار القديمة المتثرة هنا وهناك في ربوع الشرق الأدنى ، والتي تثير في النفس شتى العواطف والذكر . في المسجد الاقصى ، عند مكى اليهود ، في كنيسة القيامة ؛ على جبل الزيتون ، في ايوان كسرى ، في الحدائق المعلقة ، في ضريح الامام الرضى ، وغيرها ... كما خالطت واياه هذه الطوائف المختلفة ، فعرفتها معرفة حية بعد أن كانت مجرد اسماء تتردد : السامريون ، الدروز ، الشيعة ، الصابئة ، اليزيديون عبدة الشيطان وغير هؤلاء

وللاستاذ ثابت مقدرة ممتازة في الوصف الدقيق لما يشاهده باسلوب سلس فتشعر كأنما هو يتحدث اليك عن رحلته حديثا حلوا شيقا ، بحيث يترك في ذهنك صورة قوية ، كثيرا ما تميل بك الى العقيدة بانك قد رأيتها رأى العين ، ولا تكاد تقتنع بانها صورة قلمية فقط قرأتها عند الاستاذ ثابت !

كنت أشعر بحلاوة الحديث ، واندفع مشوقا الى القراءة متنقلا من بلد الى بلد . . . . ولكن لم يستطرد معي هذا الشعور في كل انحاء الكتاب ، فكأنما عز على الاستاذ ثابت أن يمتعنا متعة محضة خالصة ، دون أن يصدمنا في الحين بعد الحين صدمة عنيفة ، يضيق بها الصدر ، ويود عندها القارىء أن لم يكن ذلك الكلف على تلك الشمس المشرقة الضاحية ! وإنما أعني بتلك الصدمات ، هذه الحقائق العلمية التي ركزها في صفحات قليلة ، نثرها في أركان الكتاب كأنما يريد بها أن يبلو صبر القارىء على القراءة وجلده على احتمال العلم الصارم . وكم كنت أحب — وليس الاستاذ ثابت بالطبع مكلفا بأداء ما أحب — أن يكون الكتاب كله من ذلك النوع الذي لا أستطيع أن أقرأه الا في كتاب الرحالة الذي شاهد ورأى ،

وقد يكون من الأثرة أن أغتصب الحكم لنفسي دون القراء جميعا ، فهاهو الكتاب بين أيدي القراء فلا حاجة للاقتباس أو ايراد الشواهد .

ومع أن الاستاذ قد أخذ علينا طريق هذا الاعتراض انه انما أراد بمزج هذه تلك ، أن يكون الكتاب أداة ثقافية بجانب اللذة والمتاع ، فعلى هذا الاساس من وجهة النظر توافقه في شيء من القلق . وبعد ، فقد اشرك الاستاذ الرحالة قراءه معه في حياته الزاخرة ، وكان عليه وحده الغرم ، غرم الارتحال وعناء التسطير ، ولقراءه الغنم ، غنم الفائدة والمتاع السائغ .

زكي نجيب محمود

# التربية بالقصص

## لمطالعات المدرسة والمنزل

الطفل أب الرجل كما يقول الانجليز ، وهو قول صحيح من كل الوجوه ، لأن الرجولة مهما اختلف لونها ، ليست الا ثمرة لهذه البذور التي نبذرها فى تربة الطفولة الغفل ، إن خيرا فخير وان شرا فشر ، وفى هذا قال الفيلسوف لبنتز قوله المشهور : « سلمنى قياد التربية وأنا كفيل بتغيير وجه أوروبا فى قرن واحد من الزمان » يريد بذلك انه يستطيع أن ( يصنع ) ما يشاء من الرجال مادامت تربية الاطفال موكولا أمرها اليه يتوجه بها الى حيث شاء

فان كان هذا حقا لايحتمل الشك والجدل ، فما أحوجنا اذن الى وضع الخطط المحكمة وتمهيد الطرق التى تؤدى باطفالنا — وهم رجال الغد — الى رجولة قوية صلبة لا تميل ولا تلين .

وليس من شك فى أن امثل الطرق التى تحقق لنا هذا الغرض المنشود ، هى ماسارت مع طبيعة الطفل وغريزته ، أعنى يجب ان تقدم له من وسائل التربية ، مايتفق مع غرائزه التى تختلف باختلاف السن حتى تفلح الجديد وهو ملتهب . ولما كان أبرز ماتتميز به طبيعة الطفل فى سنيه الأولى هو الخيال القوى الشارد ، وجب أن نعد له مايلائمه من غذاء وهو القصة الخيالية ، التى نحوكها بحيث نبث فى ثناياها مثلا عليا فى الاخلاق ، بطريقة غير مباشرة . فينطبع الطفل بطابعها وهو لايشعر

وليست تقتصر القصة التى نقدمها للطفل على هذه الناحية التربيوية ، بل إن لها جانبا آخر لا يقل عن ذلك أهمية وخطرا ، وهو أن يكون للطفل أدب خاص به ، يجد فيه صورة نفسه ، ويصادف عنده متعة تحبب اليه الحياة وتروضه على لذة الدرس والمطالعة ، فيستمتع بها فى أوقات فراغه طفلا وشابا ورجلا

هذا النوع من القصص التى تهذب الطفل وتمده بما يحتاج اليه من أدب هو ما يقدمه الينا اليوم الاستاذ حامد القصبى فى كتابيه « التربية بالقصص » اللذين أعدهما لمطالعات المدرسة والمنزل ، فنجح نجاحا يهنأ عليه تهنئة خالصة صادقة ، ولم يفته أن يكتبهما بالخط الكبير وأن يزينهما بالصور التوضيحية التى تلائم مزاج الاطفال وتبعث الى نفوسهم اللذة والسرور لجاء مثلا للتأليف الطريف الممتع .

ز . ن . م

( الضمير الهارب — بقية المنشور على صفحة ٧٦٤ )

يتلقاه بعضنا من بعض فى كل يوم ، رجعت بحزونا لأن الأداة لم تؤد بعض ماكان يجب أن تؤدى من التمثيل . وعدت الى صاحبى ألتمسه فلم أجده ، وأخذ أصحابنا يلتمسونه فلا يجدونه وكلهم شعر بمثل ماشعرت به ، وكلهم يتحدث الى نفسه بمثل ماتحدثت به الى نفسى من الحزن وخيبة الامل ، وقليل منهم يتحدث الى الناس بمثل ما أتحدث به اليك الآن أيها القارىء العزيز . ثم انقضت الاسابيع والاشهر ، واذا أنا أتلقى صباح اليوم منه هذه الاسطر التى دفعتنى الى كتابة هذا الفصل . وأحسب أنى لن أجيبه الا بارسال هذا العدد من الرسالة اليه . فقد عرفت عنوانه الآن . كتب الى يقول : كتابى اليك أيها الصديق من بلد ناء فررت اليه بنفسى وضميرى من بلد تفسد فيه الضمائر والنفوس ، وآثرت أن أحيا فيه فردا مع نفسى على أن أحيا عندكم حياة الادوات لاحياة الناس ، ولقد كنت أظن أنى فارقتكم الى غير رجعة ، ورحلت عنكم الى غير عودة . وسئمت حياتكم سأما لاحد له ، وكرهتها كرها لا أعرف له قرارا ، وعجزت عن احتمال أيسر اثقالها . واعترف بانى سعدت بهذه الهجرة سعادة خصبة حقا ، واستكشفت فيها نفسى ، ونعمت بهذا الاستكشاف ، وأنست فيها الى ضميرى ، واستمتعت بهذا الانس ، ولكنى لم ألبث فى هذا البلد شهرا أو شهرين ، حتى احسست ان نفسى لاتكفينى ، وحتى ضقت باطالة النظر فى المرآة ، وحتى ذكرت الاصدقاء فنفرت من ذكر الاصدقاء ، وفزعت منهم الى الكتب حينا ، والى مناظر هذه الطبيعة الرائعة حينا آخر ، ومازلت ايها الصديق مظمئا الى هذا المعقل الذى آويت اليه ، واعتصمت به ولكن انظر ها أنذا أكتب اليك ، وما كتبت اليك الا لأنى فكرت فيك ، وما فكرت فيك الا لأن نفسى نازعتنى الى حديثك ، وإذن فقد ابت حياتى تلك الا ان تبغى فى هجرتى وتقتحم على هذا المعقل الذى لجأت اليه ، وكل ماأتمناه الا تغلبنى على نفسى ، ولا تخرجنى من معقلى ، وأن تكتفى بزيارتى والالمام بى من حين الى حين . فاكتب الى وأطل فقد يظهر أن الحياة التى ترتفع ارتفاعا خالصا عن كل ما نكره من النقائص شىء لاسبيل اليه ، أما أنا فقد جربت الضيق بالحياة فى مصر والفرار منها ، وأنا زعيم لكم أيها الاصدقاء بان صاحبكم سيعود اليكم متى انقضى الصيف ومن يدرى ، لعل الحياة أن تكون قد عادت الى شىء من الامن والدعة والهدوء ، فتفتح الأبواب ، وترفع الحجب والاستار ، ولانحتاج فيما بيننا الى اصطناع الرياء ، أو الى اصطناع المجاملة . ثم لا يستحى بعضنا من بعض ، ولا يستحى بعضنا لبعض .

طه حسين